١١١١
دار م. النحاس

كبير

١١١١
HARLEQUIN

الحلم

شارلوت لامب

www.elromancia.com
مرمورية

الحلم

شارلوت لامب

صوفي واطسن فتاة هجرها حبيبها، فصممت على أن لاتسمح لنفسها بالوقوع في الحب مرة أخرى، خصوصاً مع رجل مثل غاي فوكنر.

هذا لايعني أن غاي لم يكن رجلاً حسن الصفات، ولكن محامي صحيفة سنتنال اللامع كان رئيسها وهي تعلم منذ البداية بأن غاي رجل يكرس نفسه لعمله كلياً. ولم يبدأ بالتقرب إليها إلا حديثاً.

نفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة لجينا تيريل، والتي يزداد تشهشها يوماً عن يوم بالنسبة إلى اختلاط مشاعرها نحو نيكولاس كاسبيان بين الحب والكراهية. ولكن مهما كانت معاملتها له، فهو يرفض الابتعاد عنها...

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

عالم باربري وارف

مؤسسة هارلكان وشارلوت لامب مؤلفة أكثر الكتب مبيعاً يرحبان بكم في عالم باربري وارف.

في هذه الرواية ستتعرف إلى عالم الصحافة المثير والمتألق، سترقب العمل الداخلي في غرفة باغة الاخبار، وتشارك في معرفة الاسرار التي ن خلف الابواب المغلقة وتسافر إلى اكثر الم ثارة في العالم.

تتعر إلى نيكولاس كاسبيان وجينا تيريل اللذين تكتشف قصة حبهما خلال هذه السلسلة، كما انك ستتعرف ى هيزل وبييت، روز ودانيال وايرينا واسحبان ومشاكلهم العاطفية. وأيضاً فاليري وجيب اللذين ان من الممكن دمج العمل مع التسلية. لا تدع هذه المغامرات الشاعرية تفوتك... والتي ر الروايات شعبية في العالم.

شارلوت لامب

شارلوت لامب هي إحدى اكثر كتاب مؤسسة هارلكان شعبية كما ان رواياتها هي اكثر الكتب رواجاً،إن مهنتها غير العادية، وقد صدر لها حتى الان أكثر من مئة رواية، قد ساهمت في نشر الشاعرية في انحاء العالم.

ولدت في شرق لندن حيث أمضت طفولتها متنقلة بين بيوت اقاربها هربا من الغارات الجوية اثناء الحرب العالمية الثانية، وبعد أن عملت سكرتيرة في الإذاعة البريطانية، تزوجت مراسلاً سياسياً يعمل في جريدة التايمس، وهي تقول انها ابتدأت الكتابة بناء على اقتراح منه.« لأنه عمل يمكنني أن أقوم به دون الإضطرار إلى ترك اولادنا الخمسة.» وهي تعيش الآن مع أسرتها في إحدى الجزر البريطانية جزيرة الانسان وهو مكان رائع لمن يكتب القصص الشاعرية مثلها.

١١١١

عبير

Abir 1111

الحلم

شارلوت لامب

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

لم يحدث قط من قبل أن شعرت صوفي بصعوبة في الإبتسام كما شعرت الآن. لم تعرف كيف استطاعت ذلك. لقد بقي وجهها مقطباً كما أنها شعرت بألم في فكها. كانت تتحدث إلى الآخرين دون أن تدرك من هم سوى أنهم موظفون في الصحيفة«سنتنال»، أخذت تومىء وتبتسم، وأحياناً تتكلم... رغم أنها لم تكن تدري ماتقول. كانت فقط تنتظر فرصة سانحة تمكنها من ترك الحفلة دون أن يشك أحد بالسبب.

سمعت صوتاً خلفها يسألها:«هل تستمتعين بوقتك، ياصوفي؟»

أجفلت ثم استدارت وقد اتسعت عيناها. وإذا بها ترى توم بيرني، وهو رجل عريض الكتفين يعمل محرراً في قسم الجرائم، اغتصبت ابتسامة أخرى خالية من أي معنى، وهي تقول:«مرحباً ياتوم، إنني أمضي وقتاً ممتعاً للغاية. وأنت؟»

أجاب بابتسامة عريضة:«ستزيد متعتي لو أنك جلست معي فترة.» واذا بصوت يناديه، فالتفت، ثم تأوه قائلاً:«لقد أوني، عليّ أن أذهب. انني مرتبط بمساعدتهم على القيام بعبة عابثة نوقع بها جيب. سأراك فيما بعد.»

ثم توارى قبل أن تجيب. فتنهدت، لقد كان توم دعاها للخروج معه عدة مرات. لكنها لم تقبل قط لأنها كانت من نوع النساء المخلصات لرجل واحد. وقد اعتادت الخروج

مع جيب كولينغوو. عندما سمعت لأول مرة بخطبة جيب لفاليري نايت، كان ذلك عندما وصلتها بطاقة الدعوة للإحتفال بذلك. وكانت تلك طريقتهما لإذاعة الخبر.

لقد مزقت البطاقة وهي تشهق غاضبة. لكن كرامتها لم تسمح لها بإظهار مشاعرها لأحد. خصوصاً جيب. وهكذا كان عليها أن تأتي متظاهرة بأن لاشيء في العالم يشغل بالها.

نظرت إلى آخر القاعة، حيث كانا واقفين في زاوية يتهامسان وكأنهما لايشعران بما حولهما وقد بدت عليهما السعادة البالغة. هل من المفروض أن يظهرا للعالم أجمع مبلغ سعادتهما وعدم إحساسهما بأحد؟

وعندما رفع جيب عينيه من فوق رأس فاليري التقتا بعينيها، شعرت بطعنة ألم تخترق قلبها. بينما ابتسم هو ابتسامته الدافئة الودود تلك والتي ظنتها هي ذات يوم، أنها قد تعني الحب لها. لكن هذا لم يكن صحيحاً طبعاً. كل ماكانت تعنيه هو أن جيب كان يشعر نحوها بالمودة والصداقة.

بعد لحظة عذاب، إستطاعت أن تبادله ابتسامته آملة أن لايكون لاحظ الألم في وجهها أبعدت نظراتها عنه بسرعة وكأنها تبحث عن شخص آخر. وإذا بها ترى رئيسها في العمل.

«هل تستمتعين بوقتك؟» قال لها ذلك مازحاً وإذا بإبتسامته تتلاشى ويقطب جبينه: «صوفي، مابك؟»

حاولت مغالبة دموعها، وهي ترتجف مدركة أنها شاحبة الوجه: «لدّي صداع.»

أحست أن رئيسها، غاي فوكنر، لم يصدقها. كان طويلاً نحيفاً قاتم الشعر ذا وجه تنم ملامحه عن ذكاء ومهارة. كان محامياً تدّرب على ملاحظة الكذب والتهرب، بنظراته الثاقبة.

قال بلهجة حاسمة: «أظن الأفضل إخراجك من هذا المكان.»

ثم جرها قبل أن تفكر في الرفض ، إلى حيث باب الخروج. لم تلاحظ صوفي من قبل قط مبلغ قوة جسده النحيل، ماجعلها تشعر وكأنها دمية بين يديه.

ماالذي سيقوله الناس عنها وهم يرونهما بهذا الوضع، لشدّ ما كانت صوفي تكره الشائعات وأن تكون موضعاً للأقاويل. حسناً، فليقولوا ما يشاؤون، فهذا أفضل من أن تكون موضع شفقة، إذا هم شكوّا في أنها كانت تحب جيب. إنهم، على الأقل، لم يوجهوا إليها أي سؤال. وربما ظنوا أن ما كان بينها وبين جيب مجرد صداقة عادية. ذلك أن صوفي لم تكن من ذلك النوع من الفتيات اللاتي يفصحن عن مشاعرهن لأحد، كما أنه لم يكن لديها صديقات مقربات في الصحيفة بحيث تفضي إليهن ما بنفسها.

أخرجها غاي من القاعة. تاركين خلفهما الموسيقى والضجيج والأنوار. وعندماترك يدها أخيراً، كانت تلهث شاعرة بدوار.

«أحضري معطفك من غرفة الملابس، وأنا سأكون هنا بانتظارك بعد خمس دقائق لآخذك إلى بيتك.» قال ذلك ثم استدار متجهاً إلى غرفة ملابس الرجال.

صرفت صوفي بأسنانها، لم تكن تريد أن يأخذها غاي

فوكنر إلى بيتها. فقد يلقي عليها أسئلة محرجة. إنه ماهر في ذلك، فهذا جزء من عمله في الصحيفة. فهو يقلب أمور أية قصة ترد إليها ليتأكد من عدم وجود ما يستدعي رفع قضية قانونية ضد الصحيفة. وقد رأته كيف يتصرف بحيث لم تكن تريد أن تكون هي موضعاً لتحقيقاته ولكن كان عليها أن تحضر معطفها لكي ترتديه في طريقها إلى البيت. فالجو شديد البرودة رغم أن شهر ديسمبر مازال في أوله. وقد تساقط الثلج طوال فترة العصر.

وجدت في غرفة استراحة السيدات عدة فتيات يجددن زينتهن.

سألتها فتاة زرقاء العينين: «هل استمتعت بالحفلة، ياصوفي؟»

ردت صوفي مرغمة: «آه، مرحباً، ياروز، نعم كانت الحفلة جيدة، أليس كذلك؟ ماأجمل ثوبك هذا. تبدين رائعة فيه.»

«شكراً، إنني أحب ارتداءه دوماً.»

قالت روز إميري هذا وهي تنظر إلى صورتها في المرآة بإعجاب. كانت نحيفة، وهذا الثوب الذي يعود طرازه إلى أوائل العشرينات من هذا القرن كان يلائمها تماماً.

قالت: «وأنت أيضاً تبدين رائعة. في منتهى الأناقة. إنه من تصميم هامنت، أليس كذلك؟»

«نعم، هذا صحيح.» أجابت صوفي بذلك وهي منهمكة بوضع الكحل في عينيها تخفي بذلك أثار دموعها. كانت اشترت هذا الثوب الأصفر هذا الصباح من شارع «بوند». مصممة على أن تبدو في هذه الحفلة في أجمل مظهر

ممكن. وكأن لاشيء في العالم يشغل بالها. ولكن لم يكن لديها مثل ذوق روز في الملابس. بل كانت تفضل الملابس الكلاسيكية ذات الألوان الهادئة.

تمتمت روز تقول: «لا أدري إذا كانت فاليري وجيب سيستقران الآن، إن لدى كل منهما ماضياً مليئاً بالحيوية، أليس كذلك؟ أتظنين هذه الخطبة ستدوم؟»

تمتمت صوفي وهي تسوي من شعرها: «لا يمكنني التكهن بشيء.» لم تستطع تعزية نفسها بأن هذه الخطبة قد تنفسخ. كان يبدو على جيب الرضا والسعادة البالغة مع فاليري. كان يبدو عليه شكل الرجل الذي وصل أخيراً إلى ما يريد ولا يمكن لشيء أن يحوله عنه.

قالت روز: «حسناً، إنهما جميلان.»

«نعم، إنهما كذلك.»

لم يعد باستطاعة أحد أن يقرأ مايجول في نفسها الآن بعد أن أحكمت وضع القناع على ملامحها.

خرجت بقية الفتيات، وبقيت صوفي وروز وحدهما. حاولت صوفي تغيير الموضوع. فسألتها بعد أن تذكرت بعض الأقاويل التي كانت سمعتها: «هل صحيح أنهم قدموا إليك وظيفة في باريس؟»

سألتها روز بحدة: «من أخبرك بذلك؟»

«آه، كانوا يتحدثون عن ذلك في الحفلة.»

في الواقع، سمعت صوفي ذلك من إحدى السكرتيرات.

تمتمت روز بغضب: «ماأسرع انكشاف هذه الأمور؟ هذا الصباح فقط كلمني نيكولاس كاسبيان عن ذلك!»

أجابت صوفي بمرح: «إن للجدران هنا آذاناً.»

«وكذلك ألسنة، لسوء الحظ حسناً، بيننا نحن الإثنتين فقط، وأرجوك أن لاتخبري أحداً آخر. إنني لم أقبل بالوظيفة هذه بعد، وأنا لست واثقة من انني أريدها. ولكن ما حدث صحيح، على كل حال.»

كانت روز من مراسلي للصحيفة المتنقلين فهي تغطي أي حدث في العالم لا يكون الصحيفة فيه مندوب دائم.

نظرت إليها صوفي بعطف، وقالت:«دوماً كنت تريدين وظيفة دائمة في الخارج، أليس كذلك؟ ولكن الآن، إذا أنت قبلت هذه الوظيفة، سيصبح الأمر بينك وبين دانيال عسيراً، أليس كذلك؟ ليس من السهل التردد بين لندن وباريس طوال الوقت.»

تنهدت روز:«كلا، إسألي هيزل فان ليدن كم هو سهل الزوج من رجل يعيش في بلد آخر.»

«خصوصاً عندما تكون المرأة حامل، ماذا ستفعل عندما تلد طفلها؟ هل سيعود زوجها إليها ليعيش معها هنا، أم تذهب هي إليه في هولندا؟»

«ليس لدي فكرة، ولا أظنها قررت ما ستفعل، لماذا تكون الحياة معقدة بهذا الشكل؟»

واستدارت نحو الباب قائلة:«الأفضل أن أعود إلى دانيال.»

عندما ذهبت، بقيت صوفي وحدها تنظر في المرآة تتأمل نفسها، كان هذا النهار أكثر أيام حياتها إرهاقا. ولكنه كاد ينتهي الآن. لحسن الحظ. تملكها شعور مؤلم بالفراغ والتوتر. كان الإرهاق يمنعها حتى من البكاء.

وإذا بالباب يفتح وتدخل منه كوليت تسي، المحررة الجميلة لباب الشخصيات البارزة.

فخرجت صوفي إذ لم تكن تريد التحدث إلى أي شخص آخر، آخذة معها معطفها.

كان غاي فوكنر ينتظرها في الخارج. أخذ ينظر إليها من رأسها إلى أخمص قدميها، فتوتر جسمها استياء.

«لاحاجة بك لتوصيلي إلى بيتي، بإمكاني استئجار تاكسي.»

فقال بجفاء:«بل سآخذك بنفسي.»

«يمكنني الذهاب وحدي، كما جئت وحدي.»

لم يستمر في الجدل بل أمسك بذراعها بقبضته الحديدية ثم جرها في الممر نحو المصعد.

فكرت في المقاومة، ولكنها كانت بحاجة إلى كل طاقتها لتغالب دموعها. وهكذا استسلمت كارهة، وهي تحملق فيه. إنغلق باب المصعد الذي هبط بهما إلى موقف السيارات تحت الأرض.

كانت الحفلة أقيمت في جناح الضيافة في الطابق الأول من فندق«باربري وارف» الجديد والذي كان جزءاً من المجمع الذي يحتوي على المكاتب وأعمال الطباعة لصحيفة سنتنال. كان الفندق قد افتتح في ذلك الخريف فقط، وكان هو آخر مراحل عملية البناء التي كان ابتدأها المالك السابق لصحيفة سنتنال. جورج تيريل، الذي توفي منذ عام تقريباً أثناء صراع قوي بينه وبين نيكولاس كاسبيان سيد الصحافة الأوروبي الذي أصبح الآن المسيطر على سنتنال.

ما كان ذات يوم منطقة كئيبة على ضفاف نهر التايمس، تحتوي على ميناء قديم مفتت الصخور ومستودعات متهدمة، وعدة نزل غبراء قذرة، كل ذلك تحول الآن إلى مدينة صغيرة مزدهرة، مستقلة بذاتها، لها مكتب بريدها الخاص، ووكالة سفرياتها، وحوانيتها وحلاقو الشعر، ومطاعمها ومقاهيها وفندقها الخاص هذا.

توقف بهما المصعد وانفتح بابه، فدفعها غاي فوكنر إلى الخارج حيث كانت سيارته الفولفو الزرقاء واقفة على مقربة، فتح بابها ثم ساعد صوفي على الدخول، وبعد ذلك بلحظة، كان يخرج بالسيارة إلى شارع «نورث» بجانب مجمع «باربري وارف.»

كان الليل صحواً، ولكن البرد قارس وقد تكوّمت الثلوج على الطرق. كان سبق لغاي أن أخذها مرة إلى بيتها حيث كانا تأخرا في العمل، وكان مسكنه قريباً من مسكنها. وهكذا لم يكن بحاجة إلى أن يسألها عن طريق البيت.

كانت صوفي تسكن في قبو مسكن قديم الطراز في منطقة تشلسي، يملكه احد اقاربها، وهو كاتب هنغاري يعمل جزءاً من الوقت في دار الإذاعة البريطانية، وهو منذ سنوات يكتب تاريخ بلاده المعاصر. كان السيد ثيو إشترى المنزل رخيصاً للغاية، وذلك بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، بعد أن باع مجوهرات والدته. كانت أسرته الهنغارية الأرستقراطية ذات ثراء أسطوري يوماً ما. أما الآن، فهذا المنزل في تشلسي هو الذي يمده بدخله الأساسي. لم يكن عمله في دار الإذاعة البريطانية يعود عليه بمال كثير، وأقل من ذلك كان يقبضه من الكتابة. ولهذا كان المال الذي يكتسبه

من المنزل ضرورياً بالنسبة اليه... أجّر كل طابق بشكل شقة مستقلة وذلك بأجر مرتفع للغاية. ولكن بما أن صوفي كانت إبنة أخته، أجرّها الشقة بسعر زهيد، يناسب دخلها. ومقابل ذلك، كانت صوفي تقوم بخدمته في أوقات فراغها، فتضع أبحاثه عن هنغاريا في جهاز الكمبيوتر فتخزنها له بذلك في أسطوانات. ثم تجيب على رسائله إذ لم يكن بمقدور خالها توظيف سكرتيرة.

عندما دخل غاي طريق بيتها، أبطأ في سيره يسألها عن رقم البيت. وعندما أخبرته وقف أمام الباب ينظر إلى المنزل العالي وهو يسألها: «في أي طابق شقتك موجودة؟»

«في القبو.»

نظر إليها وقد بدا الغيظ على ملامحه: «في القبو؟ أليس ذلك كئيباً؟ لا يمكن أن يدخل الضوء إلى الشقة كما لا يمكن أن يكون ثمة مناظر على الإطلاق.»

فقالت باستياء: «لكنني أحبها، حسناً، النوافذ ضئيلة الحجم، ولكنني أسبغت عليها شكلاً شرق أوسطياً بدهنها بلون أبيض. كذلك جعلت الستائر والوسائد ذات ألوان مشرقة، وعلقت صوراً جميلة على الجدران، ماجعل الشقة تبدو رائعة.»

قال ببطء: «أتمنى لو أراها.»

اجفلت، وقالت بحدة: «آسفة، ليس الليلة.»

فرفع حاجبيه قائلاً: «لم أقل ذلك ملتمساً دعوة منك للدخول، إن مزاجك سيء جداً الليلة، أليس كذلك؟»

خفضت بصرها وقد احمر وجهها، كانت دوماً تزهو بنفسها باعتبارها سكرتيرة نشيطة، هادئة، مهذبة،

سريعة الإستجابة لما يطلبه منها، ومتحفظة على الدوام. لكنها هذه الليلة كانت نقيض ذلك. فهي حساسة، عدائية، عدوانية.

قالت:«آسفة، إنني مرهقة فقط. شكراً لإحضاري إلى هنا.»إلتفتت لتخرج من السيارة، لكنه أمسك بكتفها ثم عاد يديرها لتواجهه.

«هل أنت مغرمة بجيب كولينغوود؟»

كان هذا السؤال أشبه بصفعة على وجهها. شحب وجهها ثم توهج احمراراً، ثم تصاعد الغضب إلى رأسها، فرفعت يدها وصفعته على وجهه. تركها غاي وهو يندفع إلى الخلف.

لم تضيّع صوفي وقتها، فقفزت من السيارة حتى دون أن تلقي عليه نظرة، وذلك في الوقت الذي اندفعت فيه سيارة أخرى بجانبهما بسرعة فائقة. تصاعد صوت المكابح ولفحت وجهها دفقة من الهواء البارد، ثم شعرت بشيء يصدم كتفيها ثم يقذفها إلى الخلف فتسقط على خلفية سيارة غاي على الطريق.

ثم أبطأت السيارة الأخرى لحظة عادت بعدها تزيد من سرعتها لتتوارى حول المنعطف.

وصل غاي إلى صوفي قبل أن تتمكن هي من الوقوف. جثم بجانبها وقد بدا وجهه شاحباً في ضوء مصباح الشارع:«صوفي؟ هل أنت بخير؟»

كانت ماتزال ترتجف لماحدث، فلم تستطع سوى أن تمتم:«أظن ذلك...»

«ماالذي حدث بالضبط؟ أنا لم أر جيداً. سمعته فقط وهو

يندفع مبتعداً بسرعة. هل صدمك؟ لم يقف الوغد. كما أنه كان من الإسراع بحيث لم أستطع التقاط رقم سيارته في هذا الضوء الخافت. هل أصبت بأذى؟»

قالت وهي تدعك كتفها مجفلة:«كتفي فقط.» أخذ غاي يتلمس كتفها بأصابعه برقة فائقة، محركاً ذراعها إلى أعلى وأسفل وهو يراقب مايبدو على وجهها من تأثير، وأخيراً سألها:«هل يؤلمك هذا؟ لاأظنك أصبت بكسر ما، ولكن ربما برضوض سيئة. سآخذك حالاً إلى أقرب مستوصف للطوارىء لتؤخذ لك صورة شعاعية. من الأفضل التأكد بالنسبة لأمور كهذه.»

وقفت بمساعدته، لكنها هزت رأسها: «لا أشعر بألم كثير الآن. إذا حدثت لي أية مشكلة، سأذهب صباح غد الى المستشفى.»

«لا تكوني حمقاء ياصوفي، من الأفضل أن تذهبي حالاً، قد يكون أصابك ارتجاج في المخ.»

«أنا واثقة من أنه لم يحدث لي ارتجاج في المخ، فقد سقطت على جانبي وليس على رأسي. ولا أشعر بأية أعراض ماعدا ألماً في كتفي وقليلاً من الصداع وهو ماكنت أشعر به قبل أن تصدمني تلك السيارة. إلى اللقاء ياغاي وأكرر لك شكري. البرد شديد هنا وأريد أن أدخل.»

اتجهت نحو الدرجات الهابطة إلى القبو. لم تكن أضواء الشارع تصل إلى هناك، ماجعل الدرجات معتمة يغطيها الثلج الذي يجعلها زلقة.

عندما سمعت صوت خطوات غاي خلفها، حاولت أن تسرع مبتعدة، وكان هذا خطأ منها، إذ انزلقت قدماها

فتمسكت بالدرابزين الحديدي لتنقذ نفسها، ماجعل حقيبتها تسقط من يدها متدحرجة إلى أسفل الدرجات لتستقر على الثلج المكوم بجانب الجدار مختفية بذلك عن الأنظار.

تأوهت بيأس وقد اغرورقت عيناها بالدموع.

فقال غاي بجفاء: «إنها ليست ليلة سعيدة بالنسبة إليك، أليس كذلك؟»

شعرت بالغضب من كلماته هذه مما جعلها تمسح دموعها وتقول له بحدة:«أنا مسرورة لأنك ترى الأمر مضحكاً، إن مفتاح شقتي في تلك الحقيبة. والآن ستتجمد يداي برداً عندما أبحث عنها.»

تقدم أمامها ورفس الثلج بقدمه فتناثر هذا في كل اتجاه. إنحنى غاي ثم عاد فوقف حاملاً حقيبتها بيده، ولكنه بدل أن يسلمها إليها، فتحها وأخذ يبحث فيها ماجعل غضبها يزداد.

فسألته:«ما هذا الذي تفعله؟ هاتها حالاً واذهب عني.»

نظر إليها بهدوء جعلها تعض شفتيها وقد تذكرت أنه رئيسها رغم كل شيء. ومع أن هذا لايعطيه حق التملك إنما يجب أن تلاحظ طريقة حديثها إليه.

عادت تقول بحذر:«أرجوك أن تعطيني الحقيبة، شكراً لمساعدتك لي، لكن بإمكاني الآن أن أتدبر أمري جيداً.»

أجاب ساخراً:«آه، حتى الآن أثبت تدبيرك لأمرك أنه رائع. أولا، كدت تسقطين إرهاقاً، وبعد ذلك انزلقت قدماك وأنت تهبطين الدرجات هذه.»

قالت غاضبة حيث لم تعد تهتم بما إذا كان سيطردها من العمل:«هات حقيبتي.»

تجاهلها وبقي يبحث في الحقيبة، وعندما وجد المفتاح، إستدار يفتح به الباب ثم يشير إليها بالدخول، فدخلت عابسة، شاعرة بالألم من رأسها حتى أخمص قدميها، هذا إلى شيء من دوار وغثيان. أترى إصابتها كانت خطرة عندما سقطت، فيكون في ذلك نهاية رائعة ليوم رائع؟

إلتفتت تسدّ الطريق على غاي قائلة:«تصبح على خير.» ومدت يدها تتناول منه الحقيبة والمفتاح.

لكنه لم يسلمها لها، وبدلاً من ذلك دخل وأغلق الباب خلفه.

قالت بصوت منهك:«إسمع، أنا في غاية التعب، إنني شاكرة لك حقاً مساعدتك لي، ولكن...»

فقاطعها:«أظنك بحاجة إلى شراب منعش.»

«سأصنع لنفسي كاكاو ساخناً وهذا يكفي. ثم أرتاح بعد أن تذهب...»

وشعرت بقشعريرة تسري في جسدها، كيف ستتخلص منه وما هو غرضه بالضبط من التسكع حولها، رافضاً الخروج؟

لم يسبق لها قط أن عانت مثل هذا النوع من المشاكل مع غاي فوكنر. كان دوماً رئيساً مثالياً. لم يضع عليها إصبعاً قط أو يطلب منها شيئاً خارج نطاق العمل. كما أنها لم يسبق لها أن شعرت بالتوتر أو الخجل منه. لكنها، فجأة الآن، إذا بشعور غريب من التوقع، يتملكها. ماذا ستفعل لو أنه أساء التصرف نحوها في هذه الساعة المتأخرة من الليل في شقتها؟

قال لها بهدوء:«قبل أن تخرجي من السيارة، كنت ألقيت عليك سؤالاً، لكنك لم تجيبي. وكان في ذلك الجواب الكافي كما أظن .إنك تحبين جيب كولينغوود، أليس كذلك؟»

توهج وجهها وشعرت بالكره له لإصراره على هذا السؤال: «إنك مجنون... فأنا....لا شأن لك بمشاعري!»

قال بإبتسامة ملتوية:«إنك مخطئة. إن لي شأناً بذلك. نحن في زورق واحد.»

حدقت فيه بإرتباك، فتنهد هو:«من المؤكد أنك تعلمين أنني كنت أخرج مع فاليري إلى أن تركتني فجأة لأجل كولينغوود.»

نظرت إليه بدهشة بالغة، لقد نسيت أنه أمضى فترة كان يخرج فيها مع فاليري، لم تكن تظنه جاداً في علاقته بالفتاة. ولكن لم يكن من عادة غاي فوكنر أن يكشف عن مشاعره.

«هل كنت واقعاً في الغرام؟ آسفة، لم يكن لدي فكرة.»

هز كتفيه قائلاً بغضب: «أنا مسرور لسماع هذا، فقد حاولت أن لايعلم أحد بذلك.»

فقالت بآهة طويلة:«وكذلك أنا. كنت أكره أن يعلم أحد. وهذا هو السبب في أنني لم أتحدث عنه معك.»

قال دون أن يبتسم:«هذا ماأدركته. وكما قلت، إننا متماثلان في أشياء كثيرة. بما في ذلك كراهية الحديث عن مشاعرنا. لا أحب الحديث عن ذلك لأي شخص آخر، ولكننا أنا وأنت، يمكننا ان نساعد بعضنا البعض.»

قطبت جبينها بحيرة:«كيف؟»

«بالحديث عن ذلك...»

«أتعني... عنهما؟ كلا ياغاي، لاأريد ذلك. هذا لا فائدة منه. كل ماأريده هو أن أنسى أنني عرفته يوماً ما. والحديث عنه لا يساعدني في ذلك. كنت حمقاء معتوهة إذ أحببت شخصاً مثله، وكلما أسرعت في نسيانه كان ذلك أفضل. ولهذا لا تطلب مني أن أتحدث عنه.»

ثم نظرت إليه وأخذت تضحك بعنف: «لكنك لا تريد أن تتحدث عن جيب طبعاً، وإنما عن فاليري. هذا كل ما يهمك... كما انني لا أريد سماع اسمها مرة اخرى، ابداً. هل تسمع؟ أبداً... أبداً...»

«كفى! لقد تملكتك الهستيريا. إجلسي الآن قبل أن تقعي على الأرض. إنك ترتجفين كورقة شجرة.»

قال غاي ذلك وهو يمسك بكتفيها يهزهما. توقفت عن الضحك، مدركة أنه على صواب، فقد كانت ترتجف كما كانت أسنانها تصطك، ربما بسبب البرد، أو نتيجة صدمة السيارة لها. أو ربما بسبب التوتر الذي خلفه فيها هذا النهار الذي لم يكن لينتهي.

لم تعد تستطيع مغالبة دموعها، أيضاً. فغطت وجهها واندفعت في بكاء مرير. «إذهب، من فضلك، ودعني وحدي.. لاأستطيع أن أسمع شيئاً بعد الان... لا أستطيع.»

أمسك غاي بها يقودها إلى غرفتها وكأنها طفلة، حيث وضعها على سريرها وجلس على كرسي بجانبها، بينما أخذت هي تبكي وتشهق.

أخذ يلاطفها ويمرّ بيده على شعرها إلى أن هدأت شهقاتها واستكانت إليه وكأنه نوّمها مغناطيسياً.

أخذ يمرّ بأصابعه على رضوض كتفها. أجفلت في

البداية خوفاً من الألم، ولكن رقة أنامله كانت بالغة. ثم مال الى الأمام ليضيء المصباح الموضوع بجانب السرير وهو يقول:«إذا كنت لا تريدين الذهاب إلى المستشفى، دعيني ألقي نظرة على الأقل، لأعرف مقدار خطورة الرضوض.» وأنزل كمّ الثوب القصير عن كتفها، فأجفلت محاولة رفعه مرة أخرى وهي تقول متلعثمة:«كلا، ياغاي.»

لكنه أمسك بمعصمها بقوة:«ذلك لن يأخذ سوى ثانية واحدة. إطمئناني إلى عدم خطورة إصابتك يريح ذهني من عبء ثقيل. لا تتحركي الى أن أنتهي.»

سكنت عن الحركة بينما أخذ هو يتأمل كتفها مقطباً جبينه:«كل ألوان قوس قزح ستكون على كتفك. نعم، إنها رضوض شنيعة. عليك أن تشتشيري طبيباً، لتضعي عليه علاجاً لكن لاشيء خطيراً لحسن الحظ، إلا اذا كان هناك شيء لا تريدين أن تخبريني عنه. هل هذا صحيح؟»

«كلا، لقد أخبرتك بأنها مجرد رضوض بسيطة. وهذا كل شيء، هل يمكنك الذهاب الآن. ياغاي؟ إنني متعبة وأريد أن أنام.»

إنحنى غاي عليها ينظر في عينيها. توقفت عن التنفس وهي ترى تلك النظرة في عينيه. كان فيهما شيء جعلها تشعر مرة أخرى بأنها من البشر وأنها بحاجة إلى ما يخفف مما تشعر به من ألم تملكها طوال النهار.

ثم همس يقول:«إنك لست بحاجة إلى النوم الآن، ياصوفي، ولا أنا. عليك أن تحاربي النار بالنار. أحرقي كل شيء إلى أن يصبح رماداً. ساعديني على أن أنسى فأساعدك بدوري، ياصوفي...»

وكانت هي وحيدة حزينة، وأضعف من أن تفكر بوضوح.

ولكن، ماهذا؟ وإلى أين تقودها مشاعرها؟ كيف تسمح لنفسها بالإستجابة إلى مثل هذا الأمر الذي لم تعرفه من قبل؟ وهي التي كانت لاتسمح لنفسها بالتفكير في هذه الامور قبل أن تعرف الحب الذي يقود حتماً إلى الزواج؟

الحب... الزواج؟ لكنها وقعت فعلاً في حب جيب. وإذا بفاليري التي كانت تخرج كل يوم مع شاب جديد، والتي عرفت في شهر واحدة من الشبان، عدداً لم تعرفه هي، صوفي، طوال حياتها... إذا بفاليري هذه تفوز بجيب، حبيبها هي، في النهاية.

وإذا بجرس الهاتف يرن.

إستمع الإثنان إليه لحظة قال غاي بعدها: «تجاهليه.»

فقالت:«لا أستطيع.» ومدت يدها إلى السماعة.

فقال بغضب وهو يختطف السماعة من يدها:«سأرد أنا وأتخلص من المتكلم.»

«كلا، لاتفعل.»

ماذا يقول المتصل عندما يسمع صوت رجل يرد من شقتها في مثل هذه الساعة؟ ماذا لو كان خالها ثيو؟ إنه سرعان مايهبط إلى القبو ليرى بنفسه. فهو مازال يحميها من العالم أجمع وذلك منذ كانت في السادسة من عمرها. وخصوصاً من الرجال.

«مرحباً، ماذا تريد؟ كلا، إنها مشغولة لا يمكنها التكلم مع أحد.»

كان هذا جواب غاي بصوت غاضب متوتر، سألته

صوفي همساً:«من هو؟» وحاولت أن تأخذ السماعة من يده. عندئذ تغير صوته وملامح وجهه، وهو يقول:«ماذا؟ من أنت؟ اه، فابيان،إنه أنت.»

تأوهت صوفي برعب:«هل هذا فابيان؟»

وكان هذا رئيس تحرير سنتنال. نظر غاي إليها وهو يومىء برأسه إيجاباً.

قال بصوت هادىء: «نعم، هذا أنا، إنها مهارة منك أن تمّيز صوتي، فأنا لم أميّز صوتك. لماذا كنت تبحث عني؟»

إستمع لحظة عاد يقول بعدها: «فهمت، نعم، أظنك ستلاقي مشكلة هناك. سآتي إلى باربري وارف حالاً لكي أراجع ذلك كلمة كلمة.»

إستمع لحظة أخرى، ثم قال: «لابأس في ذلك، إن صوفي ستقدّر الأمر.»

أجفلت صوفي وحوّلت وجهها جانباً وقد توهج وجهها احمراراً.

وكان غاي يقول:«سأكون هناك خلال عشرين دقيقة.» ثم وضع السماعة، وتناول معطفه يرتديه وهو يقول بهدوء: «إنك سمعت كل الكلام، علّي أن أذهب الان. آسف ياصوفي، لم اكن أظنه سيميّز صوتي.»

«لماذا أخذت سماعة الهاتف مني؟ إنه الآن يعلم أنك كنت هنا... وهو سيأخذ عنا... فكرة خاطئة... و... هذا الخبر سيدور في جميع أنحاء باربري وارف.»

«ان فابيان لا يثرثر، فهو ليس واحدة من الطابعات. انه رئيس تحرير الصحيفة! صوفي، أنا آسف، لم اكن أريده أن يعلم أنني هنا في هذا الوقت من الليل. ولكن الهاتف

فاجأني، كان يتصل بك لأنه كان يبحث عني، فأخبروه في الحفلة أنني خرجت معك، فاتصل بك ليسألك إن كنت تعرفين مكاني. على كل حال، فابيان قلق بشأن مقالة ستنشر في الصحيفة عند الصباح. وقد جاءت متأخرة فلم يفحصها أحد قانونياً، ولكن فابيان خائف من أنها تحتوي على تشهير وقذف.»

«ظننتك في عطلة هذه الليلة. أليست هذه الليلة دور هنري في السهر في القسم القانوني للصحيفة؟ لماذا لم يتصلوا به؟»

«هذه هي النقطة، لقد أدخل هنري المستشفى منذ ساعتين.»

صدمها هذا الخبر:«كلا...اه، مسكين هنري.. هل الأمر خطير؟»

«فابيان يظن أن الأمر يتعلق بالقرحة التي يشكو منها. قد يجرون له عملية الليلة، كما يبدو، سنعلم المزيد في الصباح.»

«هل انفجار القرحة أمر خطير؟»

شعرت بالأسى لأجل هنري. قد يكون متغطرساً يعاملها باستعلاء، ولكنها كانت تحبه وتشعر وكأنه خال آخر لها.

قال غاي:«هذا يعود إلى مبلغ سوء الإنفجار، وما إذا كانت العملية ستجري في الوقت المناسب.سأذهب الآن، ياصوفي، المقاله ستصدر الساعة الواحدة صباحاً. وقد تجاوزت الساعة الآن الثانية عشرة، إلى اللقاء غداً.» ثم خرج.

إستمعت اليه صوفي وهو يغلق الباب الخارجي خلفه

بهدوء بالغ، كذلك لم تكد تسمع صوت سيارته وهو يبتعد بها، كان بالغ الحذر من أن يسمع الجيران فيسيء ذلك الى سمعتها، لكنها لم تنس مسألة فابيان. وقد يدعي غاي أن فابيان أرنود لايمكن أن يثرثر كالنساء، لكن صوفي تعلم السرعة التي تنتشر بها الفضائح في أنحاء باربري وارف. ذلك أن فابيان كان يتحدث هاتفياً من مكتبه. فهو لم يكن وحده. الموظفون يملأون المكان طوال الليل وعلى مرمى السمع الطابعون، المحررون، السكرتيرية، هذا عدا عن عاملات السنترال إذا كان فابيان يبحث عن غاي، لا بد أن ذلك كان من خلال لوحات التحويلات الهاتفية بطبيعة الحال وعاملات الهاتف هن أسوأ ناشرات للأقاويل في الصحيفة.

خلال أربع وعشرين ساعة يكون كل من يعمل في الصحيفة قد سمع بأن صوفي ورئيسها كانا معاً في شقتها بعد منتصف الليل.

أخذت تفكر في أن عليها أن تستقيل، فهي لا تطيق الهمسات حولها والضحكات الخافتة عند مرورها. هذا إلى النكات والتلميحات حتى ولو لم تنتشر القصة، فهي لن ترى غاي مرة أخرى. لن يمكنها العمل معه بعد هذه الليلة، إنها لاتريد أن تقع عيناها عليه مرة أخرى.

الفصل الثاني

لم تنم صوفي تلك الليلة، تقريباً. نهضت حال بزوغ الفجر. ثم ذهبت إلى العمل قبل المعتاد بساعة. عندما وصلت إلى مكتبها وجدت ملحوظة كتبت على عجل، لم يذهب غاي إلى بيته قبل الواحدة والنصف، ولهذا قد يتأخر ذلك الصباح.

حسناً، هذا يمنحها مزيداً من الوقت للتفكير في ما كانت صممت عليه. صنعت لنفسها كوباً من القهوة الثقيلة. وأثناء شربها لها طبعت استقالتها. ثم وضعتها على مكتب غاي. سيتملكها الأسف لتركها هذه الوظيفة، وكذلك لترك الصحيفة. ولكن ليس بامكانها متابعة العمل معه بعد الليلة الماضية وما قد يتبعها من فضيحة.

تنهدت وهي تقوم بعمل الصباح المعتاد. نظرت في مفكرة غاي لترى مواعيده لذلك النهار، أخرجت من الملفات المستندات التي قد يحتاجها لتكون رهن الطلب، قرأت رسائله وفرزت في اكوام، ما بين مستعجلة، وهامة وغير مستعجلة، وعديمة الأهمية وجدت طريقها إلى سلة المهملات.

لكن أعصابها كانت غاية في التوتر، ما جعلها تقفز لدى أدنى صوت.

الساعة العاشرة إلا ربعاً، رن جرس الهاتف، كانت هيزل فان ليدن تسأل عن غاي.

«إنه لم يأت بعد. فقد تأخر في العمل الليلة الماضية.»

قالت صوفي نلك، آملة أن لاتنتبه هيزل إلى ارتجاف صوتها.

«هذا صحيح، فقد نسيت ذلك، إسمعي ياصوفي، هل بإمكانك أن تعثري على أوراق قضية «كامرون» وتحضريها إلى هنا؟ السيد كاسبيان يريد مراجعتها مرة أخرى.»

«نعم، طبعاً.»

كانت صوفي تعلم مكان الأوراق هذه فقد كانت وضعتها على مكتب غاي ليعيد مراجعتها لأنه كان على موعد عصر هذا اليوم بالمحامي الذي سيمثل الصحيفة في المحكمة. حملتها واتجهت بها نحو الباب عندما دخل غاي فوقف الإثنان جامدين، احمر وجه صوفي وبات عليه الألم، بينما أخذ غاي يتفحصها بنظرات ثاقبة، وعلى شفتيه ابتسامة ملتوية.

«صباح الخير ياصوفي، هل نمت جيداً؟ أما أنا فلا.» وكان في صوته سخرية. كبحت صرخة ألم كادت تنطلق من بين شفتيها. ومع ذلك فقد شعر هو بها وبدا ذلك في نظرة سريعة من عينيه الذكيتين. لكنه لم يقل شيئاً وإنما تحول ليخلع معطفه ووشاحه الصوفي ثم يعلقهما.

قالت وهي تنسل من جانبه بينما كان يوليها ظهره: «علّي أن آخذ أوراق قضية كامرون إلى مكتب السيد كاسبيان.»

قال بحدة: «إنتظري.» فوقفت رغماً عنها، وقد توترت اعصابها. ولكن كل ماقاله هو: «أخبريه بأنني أريد استعادة الأوراق هذه قبل الغداء لكي أقرأها قبل اجتماعي بالسيد تشارلس لوثر. علي أن أدرس دقائق القضية.»

«نعم.» قالت صوفي ذلك وهي تسرع مبتعدة، متنهدة بارتياح وهي تفكر في أنها لن تكون موجودة معه عندما يقرأ كتاب استقالتها.

سمعت جينا تيريل تضحك في مكتب هيزل فان ليدن، ولكن حالما فتحت الباب، ساد الصمت على المرأتين وهما تلتفتان لتنظرا إليها.

قالتا بصوت واحد: «آه، مرحباً ياصوفي.»

استقامت صوفي في وقفتها واحمر وجهها وهي تتساءل عما إذا كانتا سمعتا شيئاً عنها وعن غاي. هل كان ذلك سبب ضحكهما؟ وشعرت لهذه الفكرة بقشعريرة باردة.

تمتمت وهي تتجنب النظر إليهما: «أحضرت أوراق قضية كامرون. هل يمكننا استرجاعها قبل منتصف النهار؟ على السيد فوكنر أن يراجعها قبل اجتماعه بالمحامي عصر هذا اليوم.»

وضعت الملف على المكتب، ثم خرجت دون كلمة أخرى رغم مالاحظته وهما ترفعان حاجبيهما وتتبادلان النظرات. وعندما اغلقت الباب خلفها قالت هيزل لاوية شفتيها: «ماالذي جرى لها هذا الصباح؟»

«ربما تشعر بصداع. أظنها ذهبت الليلة الماضية إلى حفلة خطوبة فاليري نايت. وإذا كنت تتذكرين، كانت صوفي مجنونة بجيب كولينغوود، هي أيضاً. ولا يمكن أن يكون زواجه من امرأة أخرى سهلاً عليها.»

خرجت جينا من وراء مكتبها وشعرها النحاسي يتألق في أشعة شمس الشتاء الباهتة. كانت ترتدي ثوباً صوفياً أخضر اللون زادها جمالاً، أخذت هيزل تنظر

وهي تتأوه حسداً لها:« لشدّ ماأنت رشيقة. عندما أتذكر أنني منذ ستة أشهر كنت برشاقتك، أكاد أصرخ.» ونظرت عابسة إلى بطنها المنتفخ.

رمقتها جينا بإبتسامة ملتوي تحتوي على حسد من نوع آخر. طالما تمنت لو كانت أنجبت طفلاً أثناء زواجها القصير من جايمس تيريل، حفيد السيد جورج تيريل المالك السابق للصحيفة. ولكن، لا هي ولا زوجها كانا مستعجلين لإنشاء أسرة. لقد كانا صغيري السن وسعيدين جداً. لو أنها فقط فكرت في المستقبل.... ولكن كيف كان لها أن تتكهن بأن جايمس سيموت فجأة في حادث سيارة لا معنى له؟

«لايمكنك إنجاب طفل دون أن تخسري رشاقتك، ولكن لابأس. لم يبق أمامك سوى أربعة أشهر.»

أجابت هيزل وهي تتنهد:«أعلم هذا، ولكن يبدو أنني سأبقى حامل إلى الأبد.»

«موعد الولادة في نهاية شهر ابريل، أليس كذلك؟»

فأومأت هيزل:«ذلك لايبدو زمناً طويلاً، ولكن مالا يخبرونك به هو كم من الوقت ستمضينه في الانتظار، وكم المشكلات الصغيرة المزعجة ستصادفينها. كاحلاي متورمان على الدوام عندما أصل إلى بيتي عائدة من العمل. كما إنني لم أعد أستطيع الركض للحاق بالباص. أو ارتدي شيئاً اكثر أناقة من هذه الخيمة المسماة ثوب الحمل.»

رن الهاتف الداخلي وعلا صوت نيكولاس كاسبيان يقول بغضب:«أين أوراق قضية كامرون؟»

فقالت جينا: «سأحضرها حالاً.»

«أسرعي إذن.» قال هذا بحدة وأقفل الخط.

مطت جينا ملامحها عابسة. كان شعورها لحدّته، من الضيق بحيث لم تشأ أن تسرع إليه بالأوراق. حسناً، فلينتظر.

ثم تباطأت لتقول لهيزل: «أظن كانت هناك مشكلة في منتصف الليلة الماضية بالنسبة إلى مقال الصفحة الأولى. كما أن فابيان لم يتصل بنيكولاس ليخبره عنها.»

فقالت هيزل:«حسناً، يدهشني أن فابيان لم يخبره عنها، كان عليه أن يفعل ذلك! إنه يعلم أن كل شيء غير واضح يجب أن يرفع أولاً إلى كاسبيان ليطلع عليه، للتأكد من عدم حدوث دعاوى قانونية جديدة.»

« ان لديه تلك الفكرة القديمة بأن المحرر هو المسؤول عن كل ماتنشره جريدته.»

ضحكت هيزل للهجة جينا الجافة:«آه، طبعاً أنت بجانب فابيان ضد نيكولاس كاسبيان.»

«أنا بجانب سنتنال. أظن على الصحيفة أن يكون لها قلب وضمير. ليس فقط أن تبتعد عن التعريض والفضائح خوفاً من رفع دعوى قضائية ضدها لو أن نيكولاس لم يشجع مراسليه على كتابة ذلك النوع من الكتابات لما أقيمت دعاوى ضدها. ولما احتاج نيكولاس إلى الإصرار على المحرر بأن يطلب منه أذناً لكل مقالة تنُشر. ولهذا أنا في جانب فابيان. إن لدى فابيان الحق في أن يكره أن يتنازل عن حقوقه، بصفته رئيس التحرير، لصاحب الصحيفة. عندما استلم نيكولاس سنتنال، تحدث كثيراً عن احترامه لحقوق المحررين. لكنه لم يكن يعني كلمة مما قال.» كانت هيزل معجبة بوفاء جينا لأسرة زوجها المتوفي، والقيم

التي كانوا يتبعونها، لكنها لم تكن توافق جينا على وجهة نظرها بالنسبة إلى التغيير الذي لحق بسنتنال منذ استلم كاسبيان السيطرة عليها. كانت هيزل تفضل سراً، ما أصبحت الصحيفة عليه الآن. فقد أصبحت أكثر تألقاً، حافلة بالمزيد من الصور والحديث عن الشخصيات الهامة، والمقالات الممتعة التي كان يكتبها أمثال فاليري نايت ذات القلم اللاذع الذكي. لقد كانت هيزل أحبت العمل عند جورج تيريل الراحل، لكنها غالباً ما كانت ترى سنتنال لا تتفق مع روح العصر.

كانت جينا تنظر إليها مفكرة، ولكن عقلها كان يعمل خارج موضوع صحيفة سنتنال. سألت هيزل: «هل اعتاد زوجك الآن على فكرة أن يكون له طفل؟»

فأشرق وجه هيزل:«نعم، لحسن الحظ، هل تذكرين كم كنت قلقة بالنسبة لاخباره بحملي؟ لقد كان غاضباً جداً في البداية، طبعاً. فقد ظن أن احلامه بإنشاء عمل هندسي خاص به،قد انتهت. لقد أمضيت وقتاً طويلاً في إقناعه بأنه مازال بإمكاننا القيام بذلك وأن بإمكاننا أن نأخذ الطفل معنا إلى العمل أو نجد أية طريقة أخرى. ذلك أننا سنصبح أسياد أنفسنا! وعندما قبل بييت فكرة وجود الطفل، ملئه السرور. أظن ذلك لأنه أصبح يرى حملي الآن بوضوح.»

فقالت جينا مازحة: «كل شخص يمكنه رؤية ذلك.»

فضحكت هيزل:«هل هذا واضح إلى هذا الحد؟»

ابتسمت جينا:«تبدين رائعة.» ونظرت إلى مكتب نيكولاس. إنه لم يخرج غاضباً لتأخرها بالأوراق كما كانت تتوقع..

لاحظت هيزل تلك النظرة ففهمتها. فقالت ضاحكة:«أتنتظرين حضوره إلى هنا.» إنك تحبين إثارته، أليس كذلك؟ أشعر أحياناً بالرثاء له.»

تمتمت جينا تقول:«لا ترثي له، فهو يستحق كل مايجري له. لكن الأفضل ان آخذ له هذه الأوراق الآن.»

عندما دخلت مكتبه سمعته يضحك، فوقفت مدهوشة. منذ ربع ساعة فقط كان يصرخ غاضباً من فابيان ارنود. يخبره• وها هو ذا الآن يضحك وعيناه تلمعان بالتسلية وقد اتكأ إلى الخلف بكل راحة.

كان تغيير مزاجه المفاجيء عادة فيه. فهو رجل زئبقي. طالما ظنت جينا أنها تعرفه جيداً، وإذا بها ترى في مزاجه شيئاً يصيبها بالإرتباك ويسبغ على صفاته ضوءاً جديداً.

إلتفت إليها ماداً يده يستلم منها ملف الأوراق وهو مازال يضحك. ولكنه، على كل حال، لم يفته تأخرها، فقال:«ماهذا التأخير؟ الثرثرة مع هيزل مرة أخرى، أليس كذلك؟ أليس لديكما ماتعملانه، أنتما الإثنتين؟»

ردت بحدة:«عندما دخلت، كنت أنت وفابيان على وشك الموت ضحكاً.»

لمعت عينا نيكولاس بتسلية خبيثة: «نوعاً ما، أتعلمين أنه كان على فابيان أن يتصل بفاي فوكنر الليلة الماضية لأن زميله هنري دخل المستشفى؟ لم يجد جواباً من شقة غاي، فاتصل فابيان بمكان حفلة خطوبة فاليري فقيل له إن غاي كان هناك لكنه خرج... خمني مع من!»

قطبت جينا جبينها:«هل مع... فاليري؟»

رفع نيكولاس حاجبيه وتبادل نظرة مع فابيان، ثم قال

ببطء:«كلا ولكن من الغريب ان تظني ذلك. كانت فاليري تخرج مع غاي قبل أن تتركه لتخرج مع كولينغوود، أليس كذلك؟ ألا تظنين أن هذا أصبح تاريخاً قديماً؟»

هزت جينا كتفيها ولم تجب.

إستند نيكولاس إلى الخلف يتفرس في ملامحها باهتمام:«إن مجمع باربري وارف يعجّ بالعلاقات الغرامية السرية، أليس كذلك؟ أشياء كثيرة تفوتني معرفتها لاضطراري إلى السفر على الدوام. ومع ذلك فأنا أتذكر أن كولينغوود نفسه كان يخرج مع سكرتيرة غاي التي تشبه الثلج في برودتها... صوفي واطسن، كانت هي التي خرج غاي معها من الحفلة. لابد أنهما كانا يدفنان أساهما معاً. حصل فابيان على عنوانها ورقم هاتفها ثم اتصل بها حوالي منتصف الليل، وكان غاي هو الذي أجاب عليه.»

قلبت جينا شفتيها بجفاء إزاء سخريته هذه، لاعجب أن كانت صوفي متجهمة الملامح هذا الصباح. فقد شعرت بأن حياتها الخاصة قد أصبحت الآن نهباً للأقاويل. شعرت جينا بالعطف على الفتاة. كانت تعلم أن صوفي، حسب معرفتها هي بشخصيتها، ستكره جدا هذا الأمر.

كان فابيان، في الواقع، سويسرياً، لكنه من المنطقة التي تتحدث الفرنسية. فهو فرنسي في تفكيره ومواقفه. ونظرته إلى العلاقات .كانا، هو ونيكولاس، منسجمين تماماً.

قالت بحيرة:«إن لديكما، أنتماالاثنين، ظنوناً خبيثة.» ونظرت الى نيكولاس بازدراء محا الإبتسامة عن وجهه. فقال بحدة:«هيا، ياجينا، ماذا تظنينهما كانا يفعلان إذن في تلك الساعة من الليل في الشقة وحدهما؟»

قالت جينابغضب:«يتحدثان، يتناقشان، يتجادلان في السياسة... من يعلم ومن يهتم؟ ألا يمكنك أن تتصور رجلاً وامرأة تجمعهما علاقة إفلاطونية شريفة؟»

أجاب نيكولاس ضاحكاً:«كلا، لا يمكنني ذلك. خصوصاً إذا كانا تحت الستين من العمر. حتى في ذلك الحين تبقى لدّي شكوك. إذا انفرد رجل جذاب بامرأة تجذبه، فإن عقله لا يمكن أن يفكر بالسياسة.»

إلتهبت عيناها الخضراوان: «تعني أنه ليس لديك سوى نوع واحد من التفكير بالنسبة للفتاة.»

رأته يعبس لكنها لم تخف وتابعت تقول بغضب:«لحسن الحظ أن ليس كل الرجال مثلك. لقد أوصل غاي سكرتيرته إلى بيتها من الحفلة في ساعة متأخرة من الليل، كيلا يحوجها إلى استئجار تاكسي أو الركض خلف الباص في ذلك الوقت المتأخر من الليل! وكانت هذه شهامة منه... لاغير.»

«هذا حسن، ولكن لماذا تأخر ساعة بعد ذلك في شقتها؟»

«ربما دعته لتناول فنجان قهوة. ماذا في ذلك؟ إن هذا لايعني أي شيء آخر.»وحوّلت نظراتها عنه إلى فابيان وتابعت تقول عابسة:«ان صوفي واطسن فتاة رقيقة حسنة السلوك، فإذا أنت نشرت هذه الشائعة حولها ستدمر بذلك سمعتها، وتجعلها تعسة للغاية. هل تريد هذا لها؟»

«كلا،كلا بالطبع.»

قال الرجل هذا بسرعة، وكانت هي ستكتفي بذلك لو انها لم تر التعبير الذي ارتسم على وجهه. أترى مابدا في عينيه هو شعور بالذنب؟ أم مجرد ارتباك؟ خطر في بالها فجأة أنه ربما سبق وأخبر اخرين بذلك قبل أن يخبر به نيكولاس.

ولكن قبل أن تلقي عليه مزيداً من الأسئلة، نظر فابيان إلى ساعته وقال:«يجب أن أذهب. لدّي كثير من العمل قبل أن يبدأ اجتماع المحررين هذا الصباح.»

خرج من المكتب بينما حملق نيكولاس فيها بعينين ملتهبتين:«إنك تحبين الشعور بالتفوق لاغير. إن فابيان لم يكن يقصد أي ضرر، ولم يكن في موضع الإدانة لغاي أو صوفي. إنهما راشدان وحرّان في ما يفعلان. ولا أحد سيهتم إذا ماكانت بينهما علاقة. لهذا عليك أن تتخلي عن مثالياتك الأخلاقية وتعيشي في العالم الحقيقي.»

إحمر وجهها غضباً: «تعني بذلك عالمك أنت! كلا، وشكرا لك. أفضل على ذلك القفز من النافذة.»

ثم ابتعدت عنه بسرعة، بينما أخذ هو يلاحقها بنظرات بدا فيها الغضب مزيجاً بالرغبة، وهو يتمتم قائلاً: «يوماً ما، ياجينا، يوماً ما ستتجاوزين الحد.»

فقالت بحدة قبل أن تصفق الباب خلفها: «كلما ابتعدت عنك، كان ذلك أفضل.»

كانت هيزل تتحدث في الهاتف. فالتفتت إليها تحرك شفتيها:«إنه فيليب سليد، أتريدين التحدث إليه؟» أومأت جينا بشيء من الكراهية، ثم تناولت السماعة. لقد استمرت تخرج مع فيليب عدة أشهر. لكنها منذ فترة أخذت تتجنبه دون أن تجرح كرامته. لقد كانت تعتبره مجرد صديق. ولكن فيليب أراد اكثر من الصداقة فلم تشأ ان تعطيه مايريد.

«مرحباً يافيليب. كيف حالك؟ ظننتك في جزيرة باهاما.»

«وهو كذلك.»

فتنهدت:«يالك من محظوظ. أظن الجوّ رائعاً عندك.

سماء زرقاء، شمس دافئة... الثلج يتساقط عندنا، والبرد قارس. لهذا أنصحك بعدم الإسراع بالعودة.»

فقال ضاحكاً: «أنا لا أفكر في العودة!»

سمعت صوتاً يتحدث بقربه، صوتاً أشبه بزقزقة العصافير فيه نبرة شاكية.

أخذ فيليب يتمتم بشيء، ثم عاد يقول:«جينا، إنني أتصل بك لأن... ان لدّي شيئاً هاماً أريد أن أخبرك به... حسناً، أنا سأتزوج!»

إتسعت عيناها وقد فوجئت: «فيليب...! اهنيك! من هي؟ هل أعرفها أنا؟»

«كلا. لقد تعرفت إليها هنا، منذ ثلاثة أسابيع فقط.» ضحك وقد بدا السرور في صوته.

«منذ ثلاثة أسابيع؟»

«نعم، حدثت الأمور بسرعة. حب بلهواني، لقد اتصلت لتوّي بسنتنال لنشر نبأ عن ذلك، لكنني لم أشأ أن تقرأيه في الصحيفة قبل أن أخبرك به شخصياً.»

«هذا جميل منك، وأرجو لكما السعادة من كل قلبي. قدم إليها تمنياتي الطيبة. أخبرني عنها...عن إسمها وهويتها.»

«إنها أميركية من كاليفورنيا. في الواقع أميركية يابانية، لاأستطيع لفظ اسمها الحقيقي، ولكن الجميع يسمونها سوكي تاماكي إنها رائعة الجمال واكثر مهارة مني بكثير، ياجينا! إنها محامية، لكنها تشتغل عند أسرتها... أتعرفين بماذا؟ إن أسرتها تعمل بالصحافة، هي أيضاً. إنني واثق من أنها ستعجبك. لقد حدثتها

عنك، وأننا مجرد صديقين الآن، وهي تتمنى رؤيتك.»

قالت: «وأنا أيضاً أتمنى رؤيتها.»

«شكراً، ياجينا.» بدا في صوته السرور والإرتياح. صحيح أنها توقفت عن رؤيته منذ أشهر، لكن كبرياء الرجولة فيه قد تجعله يعتقد بأنها ستشعر بالغيرة والغضب إذا سمعت بأنه سيتزوج من امرأة أخرى. إنه لايريد أن يعتقد أن ذلك لايهمها. قال بسعادة: «سأتركك الآن، ياجينا. سأراك عندما نعود أنا وسوكي، إلى لندن، إننا سنأتي لقضاء العيد مع أسرتي.»

«إلى اللقاء...» قالت ذلك وهي تضع السماعة وتلتفت إلى هيزل التي كانت تستمع إليها ضاحكة، دون خجل.

«هل أفهم أنه تعرف إلى فتاة أخرى؟»

«لم يتعرف فقط، بل خطب أيضاً، اتصل بي ليخبرني قبل أن أقرأ الخبر غداً. إنه يقول ان أسرتها تعمل في الصحافة في كاليفورنيا. أظنني سمعت بذلك الإسم من قبل. يجب أن أسأل نيكولاس. إذ لابد أنه يعلم كل شيء عنهم.»

ثم جلست خلف مكتبها وهزت رأسها: «أشعر بذهول بالغ لهذا الأمر.»

سألتها هيزل بتردد: «هل هذا يزعجك؟ أعني، أنكما، أنت وفيليب، كنتما دوماً تخرجان معاً. أليس كذلك؟»

فأجابت ضاحكة: «لايزعجني على الإطلاق. كنا مجرد صديقين ولو كنت سألتني لأجبتك. كلا، مايحيرني هو السرعة التي تم بها الأمر. فهو لم يذهب إلى باهاما إلا في منتصف نوفمبر.»

«هذا مايفعله الحب، أحياناً.»

تنهدت هيزل وهي تشرد بنظراتها بعيداً، حالمة: «عرفت منذ اللحظة التي قابلت فيها بييت، أنه الرجل الذي أريده. كان حباً من أول نظرة حقاً، رغم أنني لم أعترف بذلك لنفسي لأنني كنت غاضبة جداً لأنه لم ينظر إليّ بل إليك. وقد مضى وقت طويل قبل أن يقع هو في حبي.»

«لقد أخبرني بأنه وقع في حبك عندما رآك وقد زلت قدمك، ثم نهضت ملطخة بالوحل والدهان الأبيض. وذلك عندما جئنا، أنا وأنت، معاً إلى باربري وارف لأول مرة لنتفرج عليه.» قالت جينا ذلك ضاحكة.

ضحكت هيزل هي الأخرى رغم أنها، حينذاك، كانت مستعدة لارتكاب جريمة، لشدة غضبها. «نعم، ظن بييت أنني اكثر كمالاً من أن أعيش كبقية الناس. قال إنني بدوت بشراً مثل غيري لأول مرة وذلك عندما سقطت على وجهي.»

قالت جينا وقد تلاشت ابتسامتها وبدا القلق في عينيها: «الرجال غريبو الطباع، أليس كذلك؟ لا أدري إذا كان فيليب سيكف عن مساندته لي بعد الزواج. إذا تخلى عني، أو باع أسهمه في الصحيفة لنيكولاس، لن أستطيع أبداً بعد ذلك أن أقف في وجه نيكولاس إذا لم أوافقه على مايفعل. ذلك سيعطي نيكولاس السيطرة التامة على سنتنال. لقد استطعت مقاومة نيكولاس مستندة فقط إلى أسهم فيليب، بالإضافة إلى أسهمي.»

لقد مضى عليهما، هي ونيكولاس، وقت طويل وهما يتقاتلان حتى أصبح ذلك إدماناً بالنسبة إليها. كانت تعلم أنها لايمكن أن تنتصر. إن لديه نفوذا كبيراً جداً على بقية

افراد مجلس الإدارة. ومهما كان مقدار كراهيتها له، إلا أن عليها أن تعترف بأنه صحافي لامع... وأن لديه استعداداً طبيعياً لهذا العمل، ومرات كثيرة كانت تساند خططه بكل سرور.

لكنها لم تكن تستطيع أن تحتمل التصور أنه ينتصر، وينتهي الأمر بسيطرته الكاملة. كانت تخاف مما قد يفعله بالصحيفة. إنه سيجعلها تفقد طابعها المحافظ الرزين، وذلك في سبيل زيادة التوزيع. منذ مات السير جورج، تاركاً لها أسهمه، ألقى فيليب سليد أسهمه مع أسهمها لكي يحافظ على التوازن بينها وبين نيكولاس. ولكن إذا حصل نيكولاس على تلك الأسهم، فلن تكون هي سوى مجرد فرد في مجلس الإدارة، دون أي نفوذ في سياسة الصحيفة.

والأسوأ من ذلك كله، هو أنها ستفقد ماتبعثه تلك المبارزة الطويلة مع نيكولاس، في نفسها من مشاعر محمومة.

قالت هيزل عابسة:«لم أفكر في ذلك، لكنني أراك على صواب. ولكنني لا أرى سبباً يدفع فيليب إلى البيع لمجرد أنه يريد أن يتزوج أو يتحول إلى مساندة نيكولاس بدلاً منك! لا أظن شيئاً سيتغيّر، فلا تقلقي، ولكن هل أخبرك بشيء؟ ليس في هذه الأنحاء لحظة بليدة. هنالك حدث مثير كل ساعتين. اه، كم سأفتقد هذا المكان عندما أتركه.»

«وأنا سأفتقدك ياهيزل.»

لقد قررت هيزل ترك العمل قبل موعد الولادة بشهر.

كما أن زوجها سيترك «شركة كاسبيان الدولية» قريباً وذلك لكي يؤسس لنفسه عملاً بصفته خبيراً مستقلاً في الهندسة والتخطيط، في أوروبا. لقد كان قام باتصالات كثيرة خلال عمله مع نيكولاس، وكان مهندساً موهوباً للغاية. وكانت جينا واثقة من نجاحه، لكنها كانت تتمنى لو أن بييت ليس بهذا الطموح أو الرغبة في تأسيس عمله خارج إنكلترا. فهذا يعني أنها لن ترى صديقتها هيزل كثيراً في المستقبل. وكانت جينا تكره الفراق والتغيير خصوصاً بين أصدقائها المقربين.

* * *

عادت صوفي إلى مكتبها متوترة الأعصاب، لكنها شعرت بالإرتياح وهي تراه خالياً. كان غاي في مكتبه الخاص، فقد سمعت صوته يتحدث في الهاتف. جلست خلف مكتبها ثم أخذت تحدق من النافذة بوجه جامد. كانت شروط عقد عملها أن تعمل لمدة شهر بعد تقديم استقالتها. وهذا يعني أربعة أسابيع أخرى مع غاي، عليها أن تواجهه يوماً بعد يوم. كيف ستحتمل ذلك؟

«أنت بعيدة أميالاً كثيرة من هنا.»

فاجأها هذا الصوت من خلفها، فأجفلت بشدة وقد شحب وجهها وأخذت تنظر حولها، ولكن هذا لم يكن غاي، وإنما توم بيرني.

قالت متلعثمة وهي تتمالك نفسها:«اه... آ... آسفة، نعم. ماذا تريد ياتوم؟»

«أريد أن أرى رئيسك لكي يراجع مقالة كتبتها، قبل أن أسلمها للطبع.»

مازالت صوفي تسمع صوت غاي من خلال باب المكتب، فقالت لتوم:«إنه يتكلم في الهاتف حالياً، تفضل بالجلوس إلى أن ينتهي.»

تهالك توم على الكرسي بسرور وهو يقول: «كانت حفلة جيدة الليلة الماضية، أليس كذلك؟ لقد أخذنا نرمي«جيب» بالنكات اللاذعة. ولكنك لم تكوني موجودة، فقد تركت الحفلة مبكرة. لقد رأيتك تخرجين مع رئيسك. لم اكن أعلم أنك تخرجين معه.» وابتسم بأسف،«أنا لا أدعي عدم الشعور بخيبة الأمل. كنت أريد أن أطلب منك الخروج معي أنا.»

قالت بغضب وقد احمر وجهها:«ليس من عادتي الخروج معه.»

حقاً، لايمكن لأحد أن يفعل شيئاً دون أن يراه الآخرون، ومن ثم ينتشر الخبر في جميع أنحاء باربري وارف.

نظر إليها متسائلاً:«كلا؟»

«إنه فقط أوصلني الى بيتي لأنني شعرت بالمرض؟»

أشرق وجه توم:«هذا عظيم. إذن، هل أنت حرة هذا المساء؟إن «باري النسر» يفتح مطعمه الليلي... هل تذكرين باري؟»

تذكرت الإسم بشكل مبهم:«أليس هو نجم البوب؟»

«نعم، ذلك هو باري. اعتاد الظهور على المسرح مرتدياً بذلة ريش تظهره كالنسر. ثم يخلعها عندما يشعر بالحرارة. كان ذلك جزءاً من تمثيله. كان مغنياً رائعاً. بقي سنوات في القمة، مالبث بعدها أن أخذ ينحدر،

فتحول إلى عمل آخر في الموسيقى إذ أنشأ شركة تسجيلات أثبتت نجاحها. أظنه يربح كثيراً الآن، وهذا هو السبب في فتحه مطعماً ليلياً.»

«لاشك أن تلك مغامرة، قد يخسر مالاً كثيراً في ذلك المشروع.»

«لاأظنه يستعمل أمواله الخاصة، لابد أنه استدانه، لا أقول انه محتال. ولكنه احتال على أصدقاء لديهم أموال يريدون استثمارها. »

قالت صوفي بجفاء:«ماأجمل ذلك.»

فقال ضاحكاً:«آه، لابأس بباري. كنا نعيش في نفس الشارع عندما كنا أولاداً. لم يكن يشعر بوخز في الضمير من ناحية المال. لكنه من نواح أخرى شريف للغاية. بالمقارنة مع بعض الرجال الذين اختلطت بهم في هذا العمل، باري يبدو ناصعاً كالثلج.»

أخذت صوفي تتأمله وقد أدركت أنه ليس بالبساطة التي يبدو بها في ظاهره. ثم قالت: «لابد أن كتابتك عن الجريمة قد تشكل خطراً عليك أحياناً. ماالذي جعلك تتخذ هذا العمل؟»

«لم تكن هذه رغبتي في البداية. كنت أريد أن اكون محرر الشؤون الرياضية، لكنهم عرضوا علي الكتابة عن الجريمة لأنهم كان لديهم محرر جيد في الرياضة. قبلت بذلك آملاً أن أتحول عنه فيما بعد. لكن هذا العمل مالبث أن استولى على أحاسيسي لما كان يحويه من إثارة... آسف، هل أدخلت الملل الى نفسك؟»

« كلا، إنني احب ان يتحدث الآخرون عن اعمالهم.»

«إنك مستمعة رائعة، كان عليك أن تكوني مراسلة صحفية، إذن لنجحت في ذلك. هل فكرت قط في التحول إلى عمل محررة؟»

أجفلت وهي تقول:«لقد خطر لي ذلك، مرة.» قالت ذلك متعجبة لتكهنه بما يعتمل في ذهنها. لقد تعلمت من جراء العمل مع غاي أن بإمكانها دوماً أن تتحول إلى عمل آخر. كانت طموحاً، لم تفكر مرة في أن تبقى سكرتيرة طوال حياتها.

قال باسماً: «هذا لايدهشني من فتاة ذكية مثلك. إسمعي، تعالي معي هذه الليلة، واخبريني بكل شيء عن ذلك. عما تريدين وعما تفعلين للوصول إليه.»

نظرت إليه بجمود: «أذهب معك؟ إلى أين؟»

«إلى مطعم باري. الذي حدثتك عنه. سترين هناك الكثير من نجوم الفن ورجال الأعمال الذين سيتعرفون إلى النجوم هيا معي، ياصوفي. ستستمتعين بذلك. وسأهتم بك، فلا تقلقي. ستكونين آمنة تماماً معي.»

قالت ببطء:«يبدو الأمر ممتعاً، ياتوم، ولكن...»

قال متوسلاً:«لاتقولي كلا.»

نظرت في عينيه، ثم لم تستطع مقاومة الإبتسام:«لابأس، لن أقول كلا.»

فأشرق وجه توم، وفي هذه اللحظة، فتح باب مكتب غاي. نظر إليهما معاً بعينين ضيقتين.

وقف توم يبتسم له بأدب:«آسف، لإزعاجك، ياغاي. لكنني أريدك أن ترى المقالة التي سأقدمها في عدد الغد...»

قال غاي بصوت بارد كالثلج: «أنا مشغول، إنما بإمكاني أن أمنحك خمس دقائق.»

تقدمه توم داخلاً المكتب الآخر، بينما حدق غاي في صوفي بعينين زرقاوين بحدة السكين.

ثم قال بنعومة:«سأراك فيما بعد.»

شعرت بقلبها يغوص بين اضلعها، هذا ماكانت خائفة منه.

أغلق الباب خلفه، فغاصت في مقعدها مرغمة نفسها على متابعة العمل، رغم ارتجافها وارتكابها أخطاء.

خرج توم بعد ذلك بعشر دقائق. توقف يسألها:«الليلة إذن؟ هل أمرّ لأخذك حوالي الساعة السابعة والنصف؟ إننا سنتعشى هناك. كما سنرتدي ملابس السهرة . ماهو عنوانك؟»

كتبته على قطعة من الورق ويدها ترتجف وهي ترى غاي واقفاً خلفه على العتبة.

قال توم بسعادة:«إلى اللقاء، إذن.»ثم أخذ الورقة من يدها وخرج وهو يصفر،بينما رفعت صوفي عينيها تقابل عيني غاي القاسيتين، متحدية.

قال ببطء:«أتخرجين مع توم بيرني؟أعجب لما جعلك تقومين بذلك، الآن. إنك لم تفعلي ذلك من قبل، أليس كذلك؟»

قالت كاذبة:«لأنه لم يطلب مني ذلك من قبل.»

رأت حاجبيه يرتفعان:«ليس هذا ماسمعته. سمعت أنه بقي يلاحقك أسابيع دون أن يحصل منك على شيء.»

«حسناً، لقد قررت الخروج معه. وهذا ليس من شأنك.»

«إذاأردت الخروج مع أحد، هل يجب أن يكون مع أحمق ضخم مثل توم بيرني؟ إنه عبارة عن جسم ضخم دون عقل.»

قالت بحدة:«لم تجرؤ على قول كلام كهذا في وجودها»
نظر إليها بجفاء:«لوكنت فعلت ذلك، لضحك.»
«أنت تعني أن سلوك توم أفضل من سلوكك... وكذلك طباعه. حسناً، إنه يعجبني فلا تتعالى عليه عندما أكون موجودة.»
«هذا يذكرني بكتاب استقالتك.»
أجفلت وهي تراه يسحب رسالتها من جيبه ثم يمزقها، قائلاً ببرودة وهو يلقي بالقطع في سلة المهملات:«إنها غير مقبولة.»
أمسكت صوفي بالسلة تخرج منها قطع الرسالة وهي تقول بصوت مرتجف:«سأطبعها مرة أخرى.»
«وأنا سأمزقها مرة أخرى.»
حملقت فيه والغضب يكاد يعميها، ثم إذا بها ترفع سلة المهملات ثم تحشرها في رأسه.
تراجع غاي خطوة فاصطدم بخزانة الملفات المعدنية. سمعته يشتم داخل السلة، ثم رفعها وألقى بها على الأرض. ناثراً الأوراق في كل الإتجاهات، بينما هو يتقدم نحوها وقد اسود وجهه غضباً وبان وعيد مخيف في عينيه.
تراجعت صوفي برعب:«لاتلمسني.»
وقف يحدق إليها، وعيناه تتفحصان وجهها:«ماالذي حدث ؟»
لم تستطع أن تجيب، وأخذت ترتجف وهي مستندة إلى الجدار وقد اتسعت عيناها في وجهها الشاحب. لكن الشكل الذي بدت فيه غيّر مظهر غاي وجعل وجهه يتوتر، بينما تبدد الغضب من عينيه.

قال لها بهدوء:«إهدإي. لا أدري ماذا ظننتني سأفعل بك، ولكنك في أمان تام. فأنا لست خطراً،إجلسي ياصوفي ودعينا نتحدث عن كل هذا بشكل معقول.»
سارت نحو كرسيها ببطء ثم تهالكت عليه قابضة على حافة المكتب بيديها بعنف.
سار غاي متوجهاً نحو النافذة، ثم نظر إلى السماء الغائمة، أخذت تنظر إلى ظهره الطويل الرشيق في بذلته الأنيقة، ربما أصبح الآن اكثر هدوءاً، ولكن هذا لم يجعلها تشعر بالأمان.
قال دون أن يلتفت إليها: «والآن، ماسبب هذا كله؟ ماحدث الليلة الماضية؟ لماذا لم تتحدثي عنها بدلاً من تقديم استقالتك والهرب.»
همست تقول بصوت أبحّ: «لا... لاأستطيع.»
«لماذا؟ هل تشعرين بالحرج؟»
همست:«نعم.»
«الليلة الماضية كانت فترة سيئة بالنسبة إلينا، نحن الإثنين، وقد حاولنا التماس شيء من الترفيه وهذا كل شيء. لم يكن في ذلك نهاية العالم. »
جرؤت على النظر إلى وجهه من خلال أهدابها المسدلة. كان هو أيضاً ينظر إليها. لكنها لم تستطع فهم مارتسم على وجهه.
كان غاي محامياً مدرباً على الإقناع، على الكذب! فكيف تصدق ماقال؟
قال بهدوء:«أقترح أن نضع الليلة الماضية وراء ظهرينا وننسى ماحدث. كان ذلك غلطة، ولن تتكرر. لاأريد أن أخسر

أفضل سكرتيرة حصلت عليها. كما إنني لاأظنك تريدين ترك العمل هنا. خصوصاً وليس لديك وظيفة أخرى تذهبين إليها. أليس كذلك؟»

هزت رأسها نفياً دون أن تنظر إليه.

قال بإصرار: «ماقولك إذن؟»

فتنهدت: «نعم، لابأس.»

«هل تسحبين استقالتك؟»

فأومات مجيبة. لم تكن تريد أن تترك سنتنال أو العمل في القسم القانوني. إذا وفى غاي بكلمته ونسي الليلة الماضية، ربما بإمكانهما أن يعودا إلى العمل معاً وكأن لاشيء حصل. ولكن، هل نسيان ذلك ممكن بالنسبة لكل منهما؟

الفصل الثالث

عندما وصلت صوفي وتوم إلى النادي الليلي في تاكسي وجدا نفسيهما في صف طويل. كانت السيارات تقف ثم تفرغ ركابها. رجال في بذلات السهرة، نساء في ثياب طويلة، والجميع يسرعون داخلين إلى المطعم الليلي هرباً من الثلج المتساقط. فوق الرؤوس كانت تتألق إشارات النيون، بينما موسيقى الروك تعزف في الداخل.

بينما كانت سيارتهما تنتظر، إندفعت صوفي إلى الأمام فجأة جاحظة العينين: «تلك هي جينا تيريل!»

مال توم إلى الأمام، هو أيضاً، وسأل: «أين هي؟ هل دخلت إلى النادي؟»

«دخلت لتوها.»

إستقام توم في جلسته ومضى يتأمل وجه صوفي وهو يسألها: «هل أنت واثقة من أنها هي؟»

فعبست في وجهه: «طبعاً متأكدة. كما أنك لن يمكنك أن تخمن أبداً من كانت معه.»

«فيليب سليد؟» لم يكن توم يتابع الأقاويل، ولهذا لم يعلم أن جينا توقفت عن الخروج مع فيليب منذ أشهر.

هزت صوفي رأسها لاوية شفتيها: «انه ماك كامرون.» ونظرت إلى فم توم المفتوح دهشة وهو يقول: «أنت تمزحين.»

تحركت سيارتهما إلى الأمام ثم توقفت أمام المدخل. فتح لهما الحارس الباب ثم ساعد صوفي على النزول من السيارة والدخول. أخذت تنظر إلى السجادة الحمراء الممتدة من الطريق إلى البوابة. ثم اخذت تضحك بصوت خافت:«إنني أعرف الآن مشاعر الأمراء.»

أمسك توم بذراعها:«حسناً، هيا بنا أيتها الأميرة، ودعينا نختلط بالأغنياء والمشاهير.»

أبرز بطاقة الدعوة عند الدخول، ثم دخلا ليرحب بهما«باري النسر» في بذلة سهرة بيضاء وقميص أسود وربطة عنق ذهبية.

قال لتوم وهو يدفعه إلى الداخل بمودة: «مرحبا، ياتوم، كيف حالك؟»

«ليس سيئاً، ياباري. إنك تبدو بحالة حسنة للغاية. كما أن المكان يبدو رائعاً أيضاً!»

«لقد أمضيت أشهراً في تصميمه. إنك لن تستطيع عدّ الوجوه المشهورة التي ستراها. وستكون مادة دسمة للصحافة بقية الأسبوع. كل صحيفة في شارع الصحافة أرسلت مندوباً عنها.»

تساءلت صوفي بخبث عما إذا كان أولئك المندوبون مختصين بأخبار الجرائم هم أيضاً.

وكأنما قرأ باري أفكارها، فنظر إليها بعينيه الداكنتين، من فوق إلى تحت، ثم منحها مايعتبره ابتسامة مغرية، وقال مازحاً: «أين كنت مختبئة طوال حياتي؟»

كبحت رداً ساخراً، لأجل توم، وبدلاً من ذلك اتكأت على ذراع توم وهي تطرف بأهدابها ضاحكة.

فقال توم بسرعة:«هذه صوفي.»

«حسناً، مرحباً ياجميلة. في أي وقت تسأمين فيه من توم هنا، أعلميني.»

إبتسمت صوفي ببرودة، وهي تتساءل عما إذا كان ذلك الإنتفاخ البسيط في الجانب الأيسر من سترته البيضاء هو مسدس. أم ان مخيلتها تصوّر لها ذلك لأن توم كان أخبرها بأن باري له أصدقاء مجرمون؟

كان متجهاً نحوهما الآن رجل تبدو عليه علائم الإجرام نوعاً ما، تبع باري نظراتها، ثم هتف:«مرحبا بينز. هل كل شيء على مايرام؟»

«آسف، للمقاطعة، ياسيدي. ولكن لدينا مشكلة صغيرة بشأن الشراب...» ثم خفض صوته باحترام. بينما عضت صوفي شفتها تمنع نفسها من الضحك بعد أن أدركت أنه النادل المختص بالضيافة.

«كنت أعلم أننا لم نطلب مايكفي. ألم أقل لك ذلك، يابينز؟» أخذ باري يتمتم بضيق، ثم ألقى نظرة سريعة عابسة على توم وصوفي: «آسف لاضطراري إلى تركككما. هنالك مشكلة.»

عندما جلس الإثنان إلى مائدة، فيما بعد، قال توم:«باري شخص لابأس به لكنه يحب المظاهر قليلاً.»

كانت صوفي تحدق حولها. فأومأت موافقة.

لم تكن القاعة واسعة رغم أنها كانت تبدو هائلة الحجم لأن سقفها وجدرانها كانت مغطاة بالمرايا.

كانت جينا تيريل تجلس إلى مائدة مع سبعة أشخاص آخرين عرفت صوفي بعضاً منهم، من ضمنهم أحد مديري سنتنال لم تتذكر اسمه ولكنها رأته عدة مرات من قبل.

همس لها توم:«أنظري، ذاك هو السيد كامرون مع جينا تيريل! كنت على صواب!»

أومأت صوفي وهي تنظر إلى المائدة الأخرى. «ماالذي تنويه جينا؟»

في الصيف الماضي، نشرت سنتنال مقابلة بين فاليري نايت وفتاة شابة تسمى«مولي غرين» كانت تدّعي بأنها متزوجة سراً من الممثل المشهور ماك كامرون،لكنه انكر ذلك ورفع دعوى قذف على الصحيفة.

كانت صوفي طبعت خلاصة الدعوى متضمنة دفاع سنتنال. وبطبيعة الحال، كانوا يدعون أنه كان لديهم مبرر لما كتبوه لأنه الحقيقة.

تذكرت صوفي شائعة قالت إن جينا تيريل كانت تخرج مع الممثل كامرون في الصيف الماضي.

تقول الشائعة إن نيكولاس كاسبيان قد أمرها بالتوقف عن ذلك. ومع ذلك، هاهي ذي جينا مع ماك كامرون هنا الليلة. معرضة نفسها لهذا العدد الكبير من مراسلي الصحف. فما أفظع ردة فعل نيكولاس كاسبيان عندما يقرأ ماستنشره الصحف عنهما.

أخذت تنظر إلى مصور يدور بين الموائد. يأخذ صوراً سريعة للمشهورين، فتمنت أن لا يأخذ صورة لجينا.

وقف، في تلك اللحظة، شخص أمام مائدتهما، فرفعت عينيها إلى رجل أسمر البشرة يبدو في بذلة السهرة غاية في الأناقة.

حيا توم بإيماءة من رأسه:«مرحبا، يابيرني. هل أنت في عمل هنا، أم أنك مدعو؟»

«ربما سأكتب مقالة عن المطعم.»قال توم ذلك دون حماس وقد تصلب جسمه بشكل غريب. أحست صوفي أنه لم يحب هذا الرجل، فأخذت تتأمل الرجل الغريب عابسة.

بادلها هو النظر وقد بعثت عيناه السوداوان التوتر في كيانها. قال يأمر توم:«عرفنا ببعضنا، يابيرني.»

فامتثل توم متلعثماً: «صوفي.. أندريس كيرك.»

كان الرجل الغريب مايزال يتأملها، ثم ابتسم فجأة، فأدهشها مابعثت ابتسامته في ملامحه الباردة من ظرف.

«صوفي... إسم جميل وهو يناسبك.»

ومدّ يده يصافحها وهو يتابع:«هل أنت عارضة أزياء أم ممثلة، ياصوفي؟ لابد أنك إحدى الإثنين بجمالك وذوقك هذا في الملابس...» وجالت نظراته بين شعرها البني الذهبي المكّوم فوق رأسها، وبين وجهها البيضاوي، وقوامها الجميل.

أجابت وقد احمر وجهها تحت نظراته المتفحصة: «أنا سكرتيرة.»

قال توم:«إن صوفي تعمل في صحيفة سنتنال، في القسم القانوني.»

إرتفع حاجبا أندريس كيرك الأسودان:«أحقاً؟ هل تحبين هذه الوظيفة؟ ألا تجدين القانون مملاً؟»

«كلا، أنا أراه ممتعاً جداً.» قالت ذلك ببرودة، كارهة سؤاله.

قال ببطء:«أتمنى لو أنك تعملين عندي، لم يذكر توم أنني محام.»

شهقت بعجب:«محامي؟» وكانت قد ظنت أنه لابد أحد أصدقاء باري الأغنياء المجرمين! إبتسم هو ساخراً وكأنه قرأ أفكارها: «ولاأستطيع أن أجد سكرتيرة تفهم جيداً المصطلحات القانونية، أو تشعر بأية متعة في القانون، إلا إذا كان شكلها يشبه قفا الباص. لهذا، إذا مافكرت يوماً في التغيير إتصلي بي.» ثم وضع يده في جيبه وأخرج بطاقته.

عندما أخذتها صوفي منه كارهة، التمع وهج آلة التصوير، فرفعت بصرها مجفلة. بينما استدار اندروس كيرك على عقبيه، وقد تجهم عابساً، لكن المصور كان قد أولاهما ظهره الآن، وأخذ يلتقط صورة لمائدة أخرى.

سأل كيرك توم:«هل التقط لنا صورة؟»

فهز توم كتفيه:«لم ألاحظ ذلك، ولكن هناك من يلّوح لك بيده من تلك المائدة...»

نظر كيرك إلى حيث أشار توم، فرأى امرأة في ثوب أحمر. فتمتم لاوياً شفتيه: «آسف، إذ علي أن أعود إلى مائدتي. لكنني آمل أن أعود فأراك في الحفلة، ياصوفي.»

ثم ابتعد دون أن يسمع جوابها، وكأنه كان واثقاً من موافقتها.

عند ذلك تأوه توم، قائلاً:«ظننته لن يذهب أبداً.أرجو أن

لايكون ساءك التعرف إليه. لم يكن أمامي خيار آخر...»

حولت صوفي عينيها عن أندريس كيرك ببطء إلى توم:«إنه مخيف بعض الشيء! لقد اندهشت عندما علمت أنه محامي.»

نظر إليها بدهشة،ثم همس:«أتعنين أنك حقاً لا تعلمين من يكون؟ إنه مشهور، ياصوفي. لقد بنى شهرته على دفاعه عن بعض كبار المجرمين في لندن. ولديه أصدقاء منهم. لقد شهدت له قضايا حطم فيها أدلة كانت تبدو غاية في القوة، إنه هائل في قاعة المحكمة.»

«أتصور أنه هائل في كل مكان.»

قالت ذلك وهي تنظر إلى كيرك يجلس إلى مائدة حيث وضعت الشقراء ذات الثوب الأحمر يدها على ذراعه بإلفة.

نظر توم إلى حيث كانت تنظر، ثم ضحك قائلاً:«مسكين كيرك، كم يبدو وضعه سيئاً وهو يجلس بجانب مائدة ماك كامرون .» ونظر إلى الممثل المشهور بشيء من الحسد، ثم تابع يقول:«لا أدري ماذا ترى النساء في كامرون. أتظنينه جذاباً؟ أنا لاأرى ذلك.»

أجابت:«ذلك لأنك لست امرأة، إنه جذاب جداً. صدقني.»

كانت جينا تيريل تفكر في نفس الشيء بالضبط وهي تستمع إلى ماك كامرون يسلي الحاضرين بتقليده المدهش لأحد اكبر أسماء المسرحيين المشهورين. أخذت تنظر إلى جسمه المرن وهو يتحرك. شاعرة بشخصيته المحيّرة. وعينيه السريعتي الحركة، وابتسامته المشرقة.

لم تكن رأته منذ شهور، فكادت تنسى مقدار جاذبيته هذه، إنها تدرك أن السبب في ذلك هو ذهوله، إن لم يكن

غضبه البالغ، لرؤيتها مع السيرديرموت، تماماً كما أدهشهاهي أن تراه واحداً من مجموعتها هذه الليلة. لقد عاد السير ديرموت غاسكل إلى القيام بإحدى ألاعيبه المعتادة. لابد أن تتحدث معه، فيما بعد، بهذا الشأن. ماهو غرضه من جمعهما معاً، على كل حال؟

تلاقت عيناها بعيني السير ديرموت عبر المائدة فألقت عليه نظرة باردة. لكنه ابتسم لها بوقاحة، دون اهتمام. كان السير ديرموت إبن أعز صديق للسير جورج تيريل، وهو مايزال على وفائه لذكراه. لقد كان استقال من مجلس إدارة الصحيفة إحتجاجاً عندما استلمها نيكولاس. ولكن طلبوا منه مؤخراً العودة إلى المجلس. وعندما أخبرها نيكولاس بأنهم أعادوا السير ديرموت الى مجلس الإدارة سألته عن الحكمة في ذلك. لكنه هز كتفيه قائلاً إن لدى السير ديرموت أصدقاء كثيرين في مجلس الإدارة. وأحدهم هو الذي كان الواسطة بينه وبين نيكولاس. لقد أراد السير ديرموت إصلاح الجسور بينهما، كما قال.

بينما كان نيكولاس مقتنعاً بأن ديرموت مستعد للصفح والنسيان. لكن جينا أخذت تتساءل الآن عما إذا كان نيكولاس قد ارتكب الغلطة الوحيدة في حياته، فدعا عدواً إلى مخيّمه.

«هل تستمتعين بوقتك، ياجينا؟»

إخترقت كلمات ديرموت أفكارها وهو يميل نحوها وقد تألقت عيناه بالمكر والتسلية. كان طويلاً نحيلاً، في الخمسينات من عمره. إحدى هواياته هي استثمار أمواله في المسرح، وهو السبب الذي جعله يعرف الكثير من الممثلين.

تمتمت تقول له:«أية مؤامرة تقوم بها، ياديرموت؟»

أجاب بابتسامة عريضة:«أتآمر؟ أنا؟»

قالت شبه هامسة:«نعم،أنت. إنك لم تخبرني بأن ماك كامرون سيكون هنا الليلة، هذا أولاً.»

«ألم أفعل حقا؟»

«تعلم أنك لم تفعل، لاتنسى أنك عدت إلى مجلس إدارة سنتنال، ياديرموت، ومفروض فيك الولاء للصحيفة...»

فقاطعها:«وهل نسيت أين يجب أن يكون ولاؤك أنت، ياجينا؟»

فشحب وجهها: «كلا بالطبع، ولكن....»

«لايمكنك أن تكوني بجانب الإثنين في وقت واحد. إما أن تكوني بجانب نيكولاس كاسبيان، أو تبقي من أسرة تيريل، فتحاربيه.»

فقالت متلعثمة:«أنا أفعل ذلك.. فانا مازلت كما كنت.» لكنها شعرت بالذنب لأنها كانت تعلم بأنها، مع مرور الأشهر، أخذ عداؤها لنيكولاس يخف شيئاً فشيئاً. آه،لكنها مازالت تتجادل معه كلما رأته يتجه بالصحيفة إلى ناحية معاكسة لطريقة آل تيريل في السير بها. ولكن على الصعيد الشخصي، كان نيك هو المنتصر دوماً.

كانت تراه يومياً أثناء العمل، عندما يكون في لندن. حتى انه كان يطلب منها مرافقته إلى المؤتمرات الدولية، وإلى المركز الأساسي لمجموعة صحفه في لكسمبورغ. كانت غالباً ماتراه في بيته لأنه كان اشترى الشقة الملاصقة لشقتها في الطابق العلوي من المبنى. كان يتغديان ويتعشيان معاً على الدوام، ودوماً كممثلين للصحيفة، وبصحبة آخرين.

فتلك المناسبات لم تكن خاصة، أو مواعيد مع بعضهما البعض. ومع ذلك كانت تعلم أنه كان باستمرار يفرض وجوده عليها حتى أصبح ذلك عادة. لم تعد تقاومه بنفس المرارة القديمة. كان يسيطر على كامل حياتها، وبكل خبث.

«أرجو انك تعنين ذلك، ياجينا، لأنه قد يكون عليك إثبات ذلك، يوماً ما.» قال السير ديرموت هذا، فقطبت هي جبينها: «ماذا يعني كلامك هذا؟»

وقبل أن يجيب، قرعت الطبول وخفتت الأضواء وتصاعدت تمتمات الإثارة. ثم ظهرت بقعة ضوء زرقاء وقف في وسطها «باري النسر.»

كان متوهج الوجه تكلم بشيء من الفوضى وعدم التركيز، مرحباً بهم جميعاً، أولاً، ثم أخذ يشكر أصدقاءه الأعزاء لمساندته له في مغامرته الجديدة. ذاكراً ضمنهم اكثر الأسماء شهرة. أثناء ذلك سارت بقعة ضوء زرقاء أخرى في القاعة، وهي تستقر على أولئك الذين كان يذكر أسماءهم ثم تصاعد التصفيق.

أخيراً، شرع باري في تقديم أول عرض له، حيث عزفت إحدى أشهر الفرق الشعبية التي تسجل لها شركته، عزفت آخر مبتكراتها الموسيقية.

قال ماك كامرون: «يمكنكم التأكد من أنه لايدفع لهم أجراً وهم لايتذمرون من ذلك لأنهم في ليلة كهذه تحتوي على كل هؤلاء المستمعين والصحافيين، يحصلون على دعاية مجانية لأسطوانتهم الجديدة!»

فقال السير ديرموت ضاحكاً: «هذا يدعو الى السخرية، لكنه صحيح تماماً.»

أثناء عرض البرنامج، كانت جينا تشعر بأن ماك كامرون يراقبها، ولكنها كلما التفتت إليه كانت ترى عينيه مثبتتين على العرض، وقد قطب جبينه. أصابتها عدوى الغضب منه. لم يكن مسروراً برؤيتها الليلة. حقاً إن ماك كامرون ممثل جيد، ولكنها لم تعتقد أنه كان يمثل الغضب والشك. كانت واثقة من شعوره بالحيرة عندما رآها هذه الليلة. مهما كانت نوايا السير ديرموت في جمعهما معاً، فإن ماك كامرون ليس مشتركاً في هذه المؤامرة.

عندما انتهى العرض، تصاعد التصفيق والصفير من كل شخص.

إغتنم ماك كامرون فرصة انصراف أفراد مجموعتهما إلى تلك الفوضى، ليميل نحوها هامساً: ماالذي يجري، ياجينا؟»

لم تتظاهر بعدم الفهم، فقالت: «ليس لدي فكرة، لقد اتصل بي السير ديرموت ودعاني للحضور الليلة، لكنه لم يخبرني بأنك ستحضر، أنت أيضاً.»

نظر إليها متفحصاً: «هل هذه هي الحقيقة؟»

أومأت تجيب: «لاأشك في أن السير ديرموت يخطط للقيام بشيء ما. لقد أدركت ذلك حالما رأيتك. ومهما كان الأمر، فأنا غير مشتركة فيه.»

بدا عليه الإرتياح: «حسناً، أنا مسرور لذلك.»

سكتت لحظة ثم سألته: «سمعت أنك تقوم بتمثيل فيلم جديد. هل يسير ذلك كما يجب؟»

قال باسماً: «أرجو ذلك. لكن النتيجة لاتظهر إلا بعد النهاية، فتقفين بعيداً وتنظرين إليه. ماذا بالنسبة إليك؟

كيف تسير الأمور بينكما أنت ونيكولاس كاسبيان، الآن؟»

«أظن بإمكان المرء أن يتعود على العمل مع كل الناس، إذا اضطر لذلك!»

قالت ذلك فانفجر ضاحكاً ملقياً برأسه إلى الخلف.

إنطلق وهج آلة التصوير بجانبهما فأجفل الإثنان ونظرا حولهما. تأوهت جينا عندما قال المصور بابتسامة عريضة:«شكراً ياسيد كامرون وياسيدة تيريل!» وذلك قبل أن يتوجه إلى شخصين آخرين ليصورهما.

تمتمت وهي تفكر في ماسيقوله نيكولاس غدا عندما يرى الصورة في صحيفة ما:«آه، ليس مرة أخرى.»

فقالت ماك لاوياً شفتيه:«هذا شيء متوقع. لاشك أن هذا ماكان السير ديرموت يريده أن يحصل بالضبط.»

«نعم، هذا صحيح، ولكن لماذا؟ ماذا يقصد بذلك؟»

تمنت جينا لو تعلم الأحابيل الملتوية التي يخطط السير ديرموت لها... وماالذي سيربحه من وراء جمعها مع ماك مرة أخرى أمام الناس؟ لايمكن أن يكون ذلك لمجرد إغاظة نيكولاس. أحست بأن ثمة شيئاً آخر وراء ذلك. وإلا لماذا قال السير ديرموت لها بأنه سيكون عليها، ذات يوم، أن تثبت وفاءها لآل تيريل؟

شمت من وراء ذلك رائحة مؤامرة وان السير ديرموت يسعى إلى ايقاعها في فخ يجعلها جزءاً من هذه المؤامرة.ولكن مادور ماك كامرون في هذا؟ كانت واثقة من أنه لايعلم عن هذا الأمر اكثر مما تعلم.

فكيف يخطط السير ديرموت لاستغلاله؟

قال ماك:«لاأدري ماالذي ينويه.ولكن مهما كان الأمر فسأخرج الآن، ماذا ستفعلين أنت؟»

لم يكن لدى جينا وقت تفكر فيه. وهكذا اندفعت قائلة إنها ستخرج هي أيضاً، ستترك السير ديرموت دون كلمة. فهذا مايستحقه. ماكان له أن يستغلها في حربه الخاصة مع نيكولاس حتى دون أن يخبرها بما يجري.

كان عليها أن تحضر معطفها من غرفة الملابس. وعندما عادت وجدت ماك مرتدياً معطفاً أسود أنيقاً من الصوف، وهو يتحدث في الهاتف.

قال لها، معيداً السماعة إلى مكانها:«ستكون سيارتي أمام الباب حالما نصل إلى هناك. فقد كنت أتحدث مع سائقي إلى هاتف السيارة.»

«ولكنك جئت معنا!»

«نعم، ولكنني أمرت بأن تحضر سيارتي الساعة الحادية عشرة،إذ عليّ أن اكون في الاستديو عند بزوغ الفجر. ولهذا لايمكنني التأخر في السهر.»

وكما قال، كانت السيارة الليموزين تقف أمام الباب في الموعد المحدد، ثم ينزل السائق منها ليطمئن إلى جلوسهما داخلها.

قال له ماك:«سنوصل السيدة تيريل أولاً إلى بيتها. ماهو العنوان ياجينا؟»

«هل هذا ضروري؟ أعني، إذا كنت ستنهض من النوم باكراً... يمكنني أن آخذ تاكسي...»

«أنت تسكنين على ضفاف النهر، كما أتذكر، ليس بعيداً عن باربري وارف. وهكذا، ليس ذلك بعيداً عن طريقي.

فأنا أسكن في بيت على ضفة النهر استأجرته لمدة ستة أشهر من صديق. وهو ليس بعيداً عن برج لندن.»

«حسناً، شكراً.»ثم أعطت السائق عنوانها. والتفتت تسأل ماك:«هل تحب العيش على ضفاف النهر؟»

«إنه رائع في الصباح الباكر والضباب يغطي الكون.ثم ترين الشمس تبزغ من خلاله كبرتقالة دموية. أو، في مثل هذه الأيام، تكون مكللة بالثلج، كما تبدو الأشجار....»

سكت فجأة، ثم عاد يقول بشيء من الخجل:«آسف إذ أصبح شاعرياً. إنني أنجرف لاشعورياً عندما أتحدث عن ذلك. إنني فقط أعشق الجلوس والنظر إلى النهر عندما أتناول قهوة الصباح.»

«وأنا كذلك، فليس عليك أن تعتذر لي فأنا أحب تناول فطوري على الشرفة لأنظر إلى النهر.»

«وأنا كذلك، حسناً، أنا لاأتناول فطوراً.أشرب القهوة قليلاً من عصير البرتقال. هذا إذا كان لدي وقت مثل انتظار حضور السيارة لتأخذني إلى الإستديو.»

«ما الذي تجده اكثر سهولة؟ التمثيل السينمائي أم المسرحي؟»

«التمثيل السينمائي، طبعاً، على الممثل المسرحي أن يحفظ غيباً المسرحية بكاملها ثم يرددها كل ليلة. اعتدت أن أنزل عن المسرح وأنا ارتجف كورقة الشجر. وهكذا عليّ أن أخرج كل ليلة بعد انتهاء العرض، لكي أتعود مرة أخرى على الحياة الواقعية.»

فقالت:«إنني أتذكر.» عندما عرّفهما السير ديرموت ببعضهما البعض لأول مرة، كان ذلك بعد عرض مسرحي.

فدعاها ماك إلى تناول العشاء معه. لقد تحدثا بصراحة حينذاك، وأعجبت به جدا، لكن ماك لم يكن يعرف من هي، في ذلك الحين، ولاعلاقتها بصحيفة سنتنال. وعندما علم الحقيقة في اليوم التالي ثار غضباً وأخبرها أنه لا يريد رؤيتها مرة أخرى.

كان يذكر كل ذلك، هو أيضاً، فقال عابساً:«أنا آسف لتصرفي ذاك، ياجينا. كنت صبيانياً في غضبي ذاك منك. لكنني شعرت...»

فقالت بسرعة:«شعرت بأنني أخدعك. لم أكن أنوي ذلك،ياماك. كنت فضولية. لكنني عندما أدركت أن ليس لديك فكرة عمن اكون، كرهت أن أخبرك فأفسد بذلك الأمسية. كنت سأشرح لك الأمر فيما بعد، لو انك لم تكتشف الأمر أولاً.»

ذلك أن مصوراً كان التقط لهما صورة نشرتها في الصباح التالي صحيفة منافسة لسنتنال. لقد ثار غضب نيكولاس عندما رآها وكذلك ماك. كل منهما شعر بأنه مخدوع.

قال جاك عابساً:«كان هذا عمل السير ديرموت أيضاً.»

«نعم.» وافقته على ذلك وهي تتذكر عابسة، مبلغ تعاستها حينذاك بعد أن فشلت في جعل أي من الرجلين يصدقها.

قال ماك متأملاً، عاقد الحاجبين:«لاأدري أية خطة شريرة يخطط لها الآن.»

هزت كتفيها:«مهما كان نوعها، فإن نيكولاس كاسبيان هو الهدف. السير ديرموت يبحث دوماً عن طرق يؤذي بها نيكولاس، وهو يستعمل أي إنسان سلاحاً لذلك.»

«وهو يستعملني لأنني رافع دعوى على الصحيفة.»

«كما أن بإمكانك أن تؤذي نيكولاس مادياً.»

تمتم ماك بصوت منخفض: «آه، هذا ماأتمناه.»

ترددت، خائفة من أن توقظ عداءه لها، لكنها في النهاية قررت المجازفة وألقت عليه السؤال الذي كان في ذهنها طوال السهرة: «هل رأيت صور الطفلة التي نشرناها منذ أسابيع؟»

تشنج جسم ماك، لم يسألها أي طفلة تتكلم عنها... لقد أدرك ذلك في الحال. فحّول وجهه دون أن يجيب بشيء، وقد تسمرت عيناه في الظلام.

أدركت جينا أنه لايريد الكلام في هذا الموضوع. لكنها تابعت تقول بعناد: «هل تعلم بأن المستشفى احتفظ بها في «الحاضنة» فترة، لأن حجمها كان بالغ الضآلة عند الولادة؟ لكن صحتها ممتازة الآن. إنها جميلة جداً. ذات شعر غزير جعد قاتم اللون كشعر أمها، وعينين زرقاوين. ولكن، طبعاً، دوماً يولد الأطفال بعينين زرقاوين في البداية، أليس كذلك؟ لقد سمتها مولي باسم ديدري. اليس هذا اسماً غير عادي؟»

فانفجر ماك غاضباً: «كان هذا اسم أمي. ليس لديها الحق في...» ثم سكت وقد شحب وجهه وبدا عليه التوتر.

قالت جينا بأسى: «آسفة، ياماك ليس لدي فكرة. ولكن... إسمع، أنا أعلم أنك سترتاب في تصرفاتي لقولي هذا. ولكن.... حسناً... هل أنت واثق من أنك لست...؟»

قال بحدة: «الأب؟ نعم، أنا واثق من ذلك مئة بالمئة.»

عضت جينا شفتها وتنهدت: «آه، أنا لاأفهم ذلك،

مولي تبدو فتاة طيبة للغاية، وهي من التعاسة تجاه هذا الأمر، مثلك تماماً. لقد قابلتها عدة مرات ويمكنني أن اؤكد على أنها صادقة تماماً.»

فقال بمرارة بدت صادقة في صوته بقدر الحزن البادي في عيني مولي: «لقد كنت أظنها أنا أيضاً، كذلك ذات يوم.»

تملك جينا التشتت والحيرة: من منهما الكاذب؟ لابد أن واحداً منهما كذلك!

«إنني أحب مولي غرين كثيراً، ولاأظنها كاذبة.»

«أنا الكاذب إذن. شكراً لك.»

«كلا ياماك، لاأظنك كاذباً، كل مافي الأمر هو أنك إذا لم تكن...»

قال بصوت خافت: «أنا لم أقل هذا.»

فأجفلت: «ماذا؟ ولكن...»

«قلت إن من المستحيل أن أكون أنا الأب.»

ببطء، قالت جينا: «ولكن، ياماك...»

فقاطعها بحدة وهو يتنفس بعمق: لايمكنني.... لايمكنني أن أنجب أولاداً.»

حدقت جينا إليه وقد تملكها الذهول.

قال لها بصوت مرتجف: «هل رضيت الآن؟ كنت أرجو أن لايعلم أحد هذه الحقيقة. عندما يعلم الجميع بذلك سيكون فيه دمار مستقبلي. إنني أقترب من الأربعين الآن على كل حال. وقد انتهت تقريباً أيامي التي كنت فيها مثالاً للنجم الشاب، وهذه القضية ستنهيها مرة واحدة. لن يعطيني أحد بطولة فيلم بعد الآن. سأصبح أضحوكة للناس. لقد كنت أتمنى لو أن كاسبيان ينهي القضية بعيداً عن المحكمة.»

فقالت جينا غير مصدقة: «لماذا إذن تهدد بإقامة دعوى؟»

نظر إليها بمرارة: «لم اكن لأدعها تكتب عني أكاذيب في الصحف. ولاتظني أن ليس بإمكاني أن أثبت صدق قصتي، إذا اقتضى الأمر. لأنني أستطيع ذلك. يمكنك أن تخبريه بذلك، إنني سأجري فحوصاً جديدة قبل أن تدخل القضية المحكمة. لكنني كنت أجريت كل ذلك في الماضي. صدقيني، فقد أجريت كل اختبار ممكن.»

سألته جينا برقة: «متى كان ذلك؟ أعني لماذا أجريت تلك الفحوصات؟ ماالذي جعلك ترتاب في أن...؟»

«كنت خاطباً لفتاة كانت تريد أطفالاً، لقد بقينا مخطوبين سنتين أجريت خلالهما كل الفحوصات الممكنة لكنها كانت كلها سلبية. قال لي الأطباء بأنني لن اكون أباً على الاطلاق. وهكذا تركتني في اليوم التالي لصدور التقارير بعد أن كنا اتفقنا على الزواج. أصبحت فجأة لاأصلح لها، قائلة إنها تريد رجلاً حقيقياً يمكنه أن يمنحها أولاداً.» قال ذلك بكل مرارة،فارتجفت جينا قائلة: «كيف أمكنها أن تكون بهذه القسوة؟»

«لقد قالت الصدق على الأقل، رغم إيلامه. بينما مولي كانت تبدو مميزة حتى انني وقعت في حبها...»

إتسعت عينا جينا وازدادت نظراتها إليه حدة، إذن فقد كان يحب مولي حقاً؟

لكن ماك تابع يقول بغضب: «وإذا بها تصبح اكبر كذابة عرفتها. ترين الآن سبب غضبي عندما حاولت أن تجعلني أعتقد أنني والد طفلتها. إنني أتمنى من كل قلبي لو كان الأمر صحيحاً... ولكنني أعلم أن هذا غير ممكن، وأنا لا أريدها

أن تكذب بالنسبة إلى شيء بمثل هذه الاهمية بالنسبة إلي.»

• • •

لم تستطع جينا أن تنام جيداً تلك الليلة. لقد تملكها الأرق وهي تفكر في مقدار الألم الذي كان في صوت ماك ووجهه. لم يكن ثمة شك في صدقه. لقد كانت التعاسة البالغة تتملكه، ومع ذلك... كانت جينا مقتنعة تماماً بصدق مولي غرين. ولكن، كيف يمكن أن يكون الإثنان صادقين؟

إستسلمت إلى النوم حوالي الواحدة، لكنها انتفضت مستيقظة على قرع جرس الباب بعنف واستمرار.

أدركت جينا شخصية الطارق، ذلك أن ليس ثمة سوى شخص واحد يمكنه أن يصعد إلى هذا الطابق من المبنى حيث أن له مصعداً خاصاً.

حتى إنها تستطيع أن تخمّن السبب الذي جعله يأتي إليها في مثل هذه الساعة. لابد أن نيكولاس رأى الطبعة الأولى من الصحيفة التي نشرت صورتها مع كامرون.

سيثور عليها غاضباً، ولن تستطيع لومه. تلك الصورة ستظهرها وكأنها تناصر كامرون في القضية المرفوعة على الصحيفة. إن لدى نيكولاس كل الحق ليغضب. ولكنها كانت من التعب بحيث لايمكن أن تحتمل شجاراً معه الليلة حاولت أن تتجاهل رنين الجرس لكي يملّ فيذهب، ولكن نيكولاس لم يمل، بل وضع يده على الجرس وأبقاه عليه بكل بساطة، ماجعل رأسها يخفق من الألم. وهكذا نزلت من سريرها تترنح نعاساً، فلبست معطفها المنزلي، ثم خرجت متعثرة نحو الباب الخارجي تفتحه.

إندفع نيكولاس إلى الداخل كالرياح الشمالية عنفاً وبرودة، وهو يقبض على صحيفة بيده. نظرت إليه جينا بحذر«ليس الليلة، يانيكولاس. أنا متعبة جداً.»

فقال بصوت كالفحيح وفي عينيه لمعان مخيف: «هل تأخر عندك ماك إلى هذا الحد؟»

«لقد أوصلني إلى البيت...»

فقاطعها ضاحكاً بخشونة:«لقد تكهنت بذلك.»

«لكنه لم يدخل.»

إلتوت شفتيه بابتسامة باردة:«ليس الليلة؟ وماذا بالنسبة لليالي الأخرى؟»

أمسك بالصحيفة التي كانت مفتوحة على صورتها مع ماك:«ليس هذا مايقولونه هنا. منذ متى تقابلينه من وراء ظهري؟ منذ الصيف؟ رغم إنني طلبت منك عدم رؤيته مرة أخرى؟ كم أتمنى لو أقتلك.»

الفصل الرابع

قالت له وهي تنظر إليه متوترة، متمنية لو أنها لم تفتح الباب:«أنت، عدا عن كل الناس، ماكان لك أن تصدق ماتقوله الصحف، كل ماتقوله الصحف مجرد أكاذيب.»

«والصورة؟ هل هي أكاذيب؟ أنظري إليها، هيا، أنظري إليها.»ووضع الصحيفة تحت أنفها.

«إنها مجرد صورة ولاشيء بيننا، لم يصعد ماك معي الى هنا. إننا لسنا متحابين ولم نكن كذلك قط.» كانت تقول ذلك وشفتاها ترتجفان.

مد يده يمسك بكتفها بقوة:«كفى كذباً عليّ مرة أخرى وإلا سأضربك. إنني هنا لأرغمك على قول الحقيقة، وأريدها الآن. الحقيقة... ولاشيء عن الحقيقة!»

تملك جينا الغضب الآن، فحملقت فيه بعينين تتألقان استياء:«أنا أقول الحقيقة. وإذا كنت مصمماً على عدم التصديق، فلا يمكنني إقناعك. ولكن لايوجد شيء بيني وبين ماك. والآن، أريد أن أذهب لأنام. أنا متعبة جداً.»

«هل عليّ أن أخبرك بما احتاجه؟»

«كفى، يانيكولاس.»

«إنني لم أبدأ بعد.»

«إذن فلا..أو... أو..»

تلاشى صوتها إزاء نظراته الحادة، بينما قال يسألها ببرودة ساخرة:«أو ماذا، ياجينا؟»

لم تستطع جينا النطق بكلمة، كما أنها لم تستطع سلخ عينيها عن عينيه. كذلك لم تجد القوة لتخلص معصمها من قبضته القوية. فقد كانت أصابعه تقبض على معصمها ككلابات من حديد. وأخذ هو يراقب مقاومتها له بتسلية غاضبة.

قال:«إنني منذ سنة أراقب هذه اللعبة، ولكن دون فائدة. لقد نفد صبري الآن. عندما رأيت هذه الصورة شعرت برفسة في معدتي لمجرد فكرة أنك في جلسة حميمة مع رجل آخر، انت كاذبة علي، جاعلة، إياي أظن أن لاأحد آخر في حياتك.. وأنك ستأتين إليّ ذات يوم ونتفاهم... بينما طوال الوقت تواعدين كامرون سراً من وراء ظهري! لقد جننت وأنا أرى أي أحمق جعلت مني.»

«كلا يانيكولاس، أنت مخطىء، إنك فهمت كل شيء خطأ.» أخذت تصرخ بذلك وقلبها يخفق بعنف. كان تقرّب نيكولاس إليها يزداد على مدى السنة الماضية، لكنها استطاعت أن تبقيه على مسافة معقولة منها، كانا متواجهين على الدوام. ولكن ما أن ترى اقترابه منها يزداد، حتى تبقيه بعيداً عنها حيث تكون هي بمأمن منه. وكانت تنجح في ذلك على الدوام. وشعرت بقلق. إنه خرج عن سيطرتها وإنه لن يستمع إليها. فقد كان بالغ الغضب.

لكنها عادت تحاول، يقودها الخوف مما قد يحصل. فقالت:«لم اكن أرى ماك. وقد دهشت عندما رأيته في سيارة ديرموت...»

فقاطعها:«ديرموت؟ هل كان هناك هو أيضاً؟»

«لقد دعاني إلى حفلة افتتاح هذا المطعم الجديد. كل

شخص هناك جاء بدعوة خاصة، حتى الضيافة كانت مجاناً الى منتصف الليل، كما يبدو، لاأدري كيف حصل السير ديرموت على دعوة. ولكنه كان يساند بأمواله المسرحيات الجديدة، ولهذا، ربما كان أحد مساندي باري النسر. لا أدري، لكنه اتصل بي هاتفياً ودعاني إلى أن اكون أحد أفراد مجموعته التي سيأخذها. لم أشأ أن أرفض لأنك كنت أوضحت أنك ستعيده إلى مجلس الإدارة. ولهذا لم أشأ أن أجرحه.»

وسكتت لحظة، ثم انفجرت تقول باستياء:«وعلى كل حال، أنا أعزه، وسأعزه على الدوام لأنه كان....»

«إبن صديق الرجل العجوز! أتظنينني أنسى هذا؟ كان عليّ أن أدرك أنه سيقوم بأمر كهذا. السير جورج تيريل هو دوماً وراء كل مايحدث. لقد مات منذ عام، لكنه مازال يسيطر على كل ماتقولين أو تفعلين أو تفكرين به. أليس كذلك؟»

«موته لايعني أنني لم أعد أحبه، والدك أنت ميت. ولكن كل شيء كان يمثله، مازال هو المهم في حياتك. أليس كذلك؟»

قال عابساً:«لاتجرّي أبي إلى هذا الموضوع! ليس لديك فكرة عن شعوري نحوه.» ثم تغيرت ملامح وجهه فجأة ولوى شفتيه ساخراً:«ولا أنا لدي فكرة، أيضاً، ماكنت قط واثقاً من شعوري نحو أبي، أهو الحب أم الكراهية. عندما كنت صبياً كنت نادراً ماأراه. لقد كنت في مدرسة داخلية على الدوام. وخارج المدرسة كان يتركني مع الخدم. كانت العلاقة بيننا أثناء السنوات المبكرة من حياتي، كانت ضعيفة. فقد كرهته لأنه فصلني عن أمي، ومع ذلك، ما أن أصبح وصياً علي، حتى لم يظهر أي اهتمام بي.»

تذكرت جينا ماكانت أمه أخبرتها به، في سان فرانسيسكو، فبدت الرقة في عينيها الخضراوين. لكن نيكولاس لم يكن ينظر إليها. كان ينظر إلى الجدار من فوق رأسها وقد بدت الكآبة على وجهه. أدركت أنه كان يتذكر طفولته. إنتظرت، آملة أن يتحدث عن ذلك. كانت تريد أن تعلم مايدور في رأسه، لكنه لم يفعل. فقد هز رأسه بغضب وكأنه يريد أن يطرد تلك الذكريات الحزينة، ثم عاد ينظر إليها بفروغ صبر: «لم يكن السير جورج والدك على كل حال، لم تكن تجمع بينكما رابطة الدم.»

فقالت بلطف: «لكنه احتل مكان أبي في الحياة، بعد أن مات أبي. لم يكن في الحياة سوانا، أنا والسير جورج، بعد أن مات جايمس هو أيضاً. نحن الإثنان لم يكن لنا أحد في الحياة. لهذا كان من الطبيعي أن نتعلق ببعضنا البعض. كان كل منا بحاجة إلى الآخر.»

ثم رمقته بسرعة، وعادت تقول بلطف: «لماذا تغضب مني دوماً لهذا؟ لماذا يزعجك كثيراً أن أحب السير جورج؟»

إكفهر وجه نيكولاس ونظر إليها، ثم حوّل نظراته متململاً وهو يتمتم: «أنا أغار... أليس هذا ماتفكرين فيه؟ نعم. هذا صحيح. أنا أغار وتباً لك.»

فقالت غير مصدقة: «تغار من رجل عجوز وميت؟»

«نعم. من أي رجل يقف بيننا.»

خفق قلبها وانحبست أنفاسها. لو أنها فقط تستطيع أن تصدق أن غيرته وغضبه يعنيان أنه يحبها.

إنها تعرف عنه شيئاً واحداً. وهو أنه إذا أراد شيئاً

فسيحصل عليه حتما مهما طال الأمر. سيظل حول الشيء إلى أن ينجح. وبعد ذلك ينسى كل شيء ويتجاوزه إلى التحدي التالي.

قالت: «لاتفعل ذلك مرة أخرى.»

فأجاب بحدة: «لن أتوقف عن ذلك أبداً.»

«انني لن أصغي إليك!»

لوى شفتيه بغضب: «هذه هي المشكلة فأنت لاتصغين.»

إنه يعرفها الآن بشكل أفضل كثيراً مما كان منذ عام. كانت تبدو غاية في الأنوثة والرقة والحنان. لكنها، من ناحية أخرى، كانت من قوة العزم والإرادة مثله هو إنما بطريقتها الخاصة. وكان هذا هو سبب تشابكهما في هذا الموقف الذي لانجاح فيه لأحدهما. ليس منهما من هو مستعد للإستسلام أو الرحيل، كما أن ليس منهما من يفوز بما يريد.

قال نيكولاس وقد تغير مزاجه فأصبح ضارعاً محاولاً استثارة عطفها: «لاأدري كم أستطيع الصبر على هذا اكثر مما فعلت.» كان يعلم أن جينا أحبته ذات يوم. آملاً أن يوقظ ذلك الحب فيها مرة أخرى. ولكن جينا كانت تفضل الموت على أن تدعه يعرف.

نظرت إليه بجفاء، عالمة بنيّته. فعاد يعبس: «ماالذي يجري في عروقك؟ ثلج؟»

كم تمنت لو أن هذا صحيح. لقد كانت أحبته أعمق الحب ذات يوم. وقد صدمها بشكل شنيع بمقدار خداعه لها وللرجل العجوز الذي كانت تحبه كوالدها، وذلك لكي يسرق الاكثرية من الأسهم. لم يكن لدى نيكولاس ضمير. وهي لايمكن أن تنسى مافعل أو تصفح عنه. لكنها، كذلك، لم

تستطع أن تقتل مشاعرها نحوه كلياً. كانت تحبه وتكرهه في وقت واحد، المشاعر تتلوّى في داخلها كالأفعى، مُرة قلقة، مسممة حياتها.

قالت له بضعف: «هل لك أن تتركني وشأني، يانيكولاس؟»

«لكي تنشئي علاقة مع ماك كامرون. هل تظنين حقاً أنني سأفعل هذا؟»

«ليس بيني وبين ماك علاقة، وقد قلت لك هذا لتوّي. السير ديرموت هو الذي رتب أمر السهرة الليلة الماضية. ولم أكن أعلم أن ماك سيكون هناك. ولكنه كان هناك جالساً بجانبي على مائدتي. ماذا كان بإمكاني أن أفعل؟ أتجاهله؟ وعندما أصبحنا وحدنا على المائدة أخذنا نتكلم عن القضية متهامسين، وكان ذلك حتى التقط المصور لنا هذه الصورة، فبدونا وكأننا.. كأننا...» وتلعثمت. فأكمل يقول: «كأنكما عاشقان. هاقد اعترفت بنفسك، على الأقل.»

لم تستطع الإنكار ولكنها قالت محتجة: «مهما بدا من الصورة، فهو غير صحيح. إنه رجل طيب رقيق، وأنا معجبة به. ولكنه لايحبني بل يحب مولي غرين.»

بدت الحدة في عينيه: «ماذا؟»

«نعم، لقد أخبرني بكل شيء عن ذلك، الليلة الماضية، حذرته بأن عليّ أن أخبرك، فقال أن أفعل. فهو بإمكانه إثباته، وسيفعل ذلك في المحكمة إذا اقتضى الأمر.»

أخذ يستمع إليها باهتمام وهي تخبره بكل ما حدثها به ماك. وعندما انتهت سألها: «وهل صدقته؟» فأومأت إيجاباً، قائلة: «كان من التعاسة بحيث لايمكن أن يكون كاذباً! وعلى كل حال، لاأظن رجلاً يكذب بالنسبة إلى

أمر كهذا، خصوصاً إذا كان عليه أن يواجه المجتمع به. فقد قال إن هذا قد يدمر مهنته ومستقبله.»

عبس نيكولاس، قائلاً: «هذا صحيح. لو كنت أنا مكانه لما أردت أن يدري بي أحد. إن رجولة الرجل لاتحتمل ذلك. إنه أمر حساس بالنسبة إليه، أمام الرجال كما هو أمام النساء. إن الإنطباع الذي يتركه الممثل في نفوس الناس هو كل شيء بالنسبة إليه. كلا، أوافقك على أن من غير الممكن أن يؤلف كامرون عن نفسه قصة كهذه كذباً.»

سار نحو النافذة وأخذ ينظر منها إلى النهر المتألق في ضوء القمر. أخذت جينا تنظر إليه متسائلة عما يمكن أن تكون أفكاره.

كان يرتدي ملابس المساء، ولكنه كان نزع ربطة عنقه وحل ياقة قميصه المنشّاة وهو في طريقه إلى البيت.

تذكرت فجأة أنه كان يتناول العشاء في مقر رئاسة الوزارة في دواننغ ستريت. هذا المساء، وذلك مع مجموعة من رجال الصحافة ذوي النفوذ.

لابد أنه اشترى في طريقه، وهو قادم، نسخة الغد من هذه الصحيفة. فهو غالباً مايزور باربري وارف قبل أن يتجه إلى شقته آخر النهار. إنه يريد أن يبقى دوماً على اتصال بصحيفته حتى ولو كان خارج البلاد. وكان هذا يغيظ موظفيه، وخصوصاً فابيان أرنود الذي كان دوماً يرى نفسه وقد أزاحه نيكولاس جانباً ومضى يقرر للصحيفة مايريده.

قال نيكولاس أخيراً: «ياله من مأزق. أتدركين مايعني هذا؟ يعني أن تلك الفتاة كاذبة، وأن فاليري نايت كانت من الحماقة بحيث صدقتها. سيكون علينا أن ندفع

لكامرون تعويضاً ضخماً بدل ضرر. حسناً، لقد انتهى عملها عندنا وعليها أن تخلي مكتبها غداً.»

تقدمت جينا نحوه وقد بدا على وجهها السخط:«هذا ليس إنصافاً.»

التفت إليها ثائراً:«إنصافاً؟ إنها ألحقت بنا خسارة كبرى وتريدينني أن اكون منصفاً لها؟»

«لايمكنك أن تلوم فاليري لكل شيء.لقد صدقت قصة مولي غرين، وكذلك أنا. كلنا صدقناها. إنني أتذكر أنك قلت شيئاً مثل، ما أجملها. وأن من الواضح أنها ليست من النوع الذي يكذب. كان هذا صحيحاً أيضاً. إن فيها شيئاً يجعل كل شخص يصدقها.»

نظر إليها ساخراً:«كل النساء لديهن هذا الشيء. البعض اكثر من الآخر. لكن اكثرهن يجعلن الرجل يصدق أن الأعلى أسفل، والأبيض أسود. فقط عندما يفتحن أعينهن الواسعة البريئة ويمنحنهم ابتسامة حلوة. »

أدركت أنه يشير بذلك إليها،فحولت وجهها إلى النافذة تمنع نفسها من ان تفقد أعصابها مرة أخرى. لقد سكت عن اتهامها وأصبح اكثر هدوءاً. وهي تريده أن يبقى هكذا.

كان الثلج في الخارج مازال يتساقط، تعصف به الريح فوق السطح. والتي كانت تزمجر من خلال الأشجار الممتدة على ضفاف النهر. كان يبدو وكأن الشتاء قد اتخذ مقامه هنا إلى الأبد. وبدا البدر وكأنه شبح باهت يطل من خلال الغيوم المتعلقة بالثلج. وكانت السماء خالية من النجوم.

شعرت جينا باكتئاب مفاجيء. بدت المدينة خالية منعزلة موحشة. وارتجفت وهي تنظر إليها.

قال نيكولاس ساخراً وهو يسير في الغرفة جيئة وذهاباً كهر محبوس في قفص:«كلا،ليس غريباً أن ينخدع كامرون بمولي غرين.»

سألته:«وماذا ستفعل الآن؟»

«لدّي فكرة. إسمعي، من الواضح أن كامرون يفضل إنهاء النزاع خارج المحكمة. وهذا يعني أنه سيقبل بأقل ممايطلب. إن علينا أن نتصرف بحذر. فإذا قدمنا إليه أقل ممانتظر فقد يغضبه ذلك ويتابع الدعوى. لكنني سأطلب من غاي فوكنر أن يبدأ التفاوض معه حالاً.»

«لكنك لن تطرد فاليري من وظيفتها... أليس كذلك؟»

قالت له ذلك وهي تبتسم له بعذوبة، فنظر إليها طويلاً، ثم قال بلهجة غاضبة: «هذا يتوقف عليك.»

قالت بدهشة:«عليّ أنا؟»

إقترب منها خطوة:«ماذا ستعطيني إذا لم أطردها؟»

تراجعت وقد جفت شفتاها:«هذا ابتزاز،كيف تعبث بحياة الناس بهذا الشكل؟»

إحمر وجهه وهو يقول ساخراً:«يحق لك جداً الكلام عن العبث بحياة الناس، ياجينا! حسناً، لطالما عبثت بحياتي.»

سكت لحظة ثم عاد يقول ببطء:«سأخرج الآن، ياجينا، لن أطرد فاليري، لكنني، مقابل ذلك، أريدك أن تعلمي أنك لايمكن أن تكوني لسواي.»

لم تنطق بحرف وهي تنظر إليه يخرج، ثم يصفق الباب خلفه بعنف .

الفصل الخامس

لم يبق للعيد سوى أربعة عشر يوماً يتسوقون فيها. أخذت صوفي تفكر في ذلك وهي تسير من محطة المترو إلى باربري وارف في نهاية ذلك الأسبوع. لقد اشترت هدايا لكل شخص تقريباً، ولكنها، حتى الآن لم تجد شيئاً يناسب الخال ثيو. عليها أن تجد وقتا تدور فيه على حوانيت التحف الأثرية. ليس من الضروري أن تكون الهدايا غالية الثمن. لكنها تحب خالها حباً جماً. ودوماً تحاول أن تشتري له شيئاً مميزاً.. شيئاً لايتوقعه، ثم تراقب وجهه كيف يشرق وهو يفتح الهدية.

كان ذلك أظرف مافي شخصية الخال ثيو. وهو فرحه الصبياني بالمفاجآت. لقد كانت حياته حافلة بالمآسي، بعد أن حل الرعب بأسرته وبلاده بأجمعها، ماجعله دون وطن ولاجذور، ولاأهل، كيف استطاع الإحتفاظ ببراءة الأطفال وثقتهم ودهشتهم؟

كان خالها يتحلى بمزايا اكثر من ذلك بكثير، طبعاً. فقد كان محنكاً واسع المعرفة. كان مؤرخاً لامعاً. وكان يسرها أن تعمل معه في إصدار كتابه. لم تندم صوفي قط على الإتفاق الذي أبرماه بينهما، لأنها كانت تشعر نحو عمله بنفس المتعة التي يشعر هو بها.

لكنها كانت تتمنى لو أنه لم يكن بمثل ذلك الدهاء

والفطنة. ذلك أنها، منذ عدة أيام، منذ حفلة الخطوبة تلك، رأته عدة مرات يتأملها بد قة واهتمام، لم تكن أخبرته بشي، ولاتنوي ذلك، لكن الخال ثيو كان يعرفها اكثر من أي شخص آخر في العالم. لم يكن بها حاجة إلى أن تخبره بالذي حدث لهامؤخراً، لكنه كان يشعر بذلك كلما كانا معاً في نفس الغرفة.

قطبت جبينها وهي تتساءل كيف تحول ذهنه. ربما من الأفضل أن تدعي المرض. وهذا معقول في مثل هذا الجو الشتائي البارد.كان هذا الجّو القارس يجعل كل شخص يشعر بالمرض. لم يكن الثلج يتساقط هذا النهار، لكنها عندما رفعت بصرها إلى السماء الغائمة، إرتجفت، قد يتساقط الثلج آخر النهار.

إستدارت حول المنعطف، فلاح لها مجمّع باربري وارف... كان يبدو في الشتاء أشبه بالقلعة. فالجدران العالية حوله بالغة المهابة.

كما كان زجاج النوافذ الأسود يوحي بالتحفظ والشر. لكن التدفئة المركزية فيه كانت غاية في الكفاءة وشعرت باللهفة للدخول وتناول فنجان قهوة.

كان ثمة آخرون يتدفقون إلى الداخل، أيضاً. عمال الكهرباء، قاصدين إلى حيث أعمال الطباعة، موظفو الهاتف في قسم الإعلانات الذين يجلسون خلف صفوف من المكاتب طوال اليوم وسماعاتهم على آذانهم، يتسلمون الإعلانات، الصغيرة منها والكبيرة، بواسطة الهاتف. مراسلو الصحف والمصورون، السكرتارية والحراس والفتية ناقلو الأوراق بين الأقسام بستراتهم الجلدية

وخوذاتهم البيضاء يصلون على دراجاتهم البخارية.

ألوف من الناس كانوا يعملون في باربري وارف. ورغم أن عددهم كان اكبر حينما كانت الصحيفة في مقرها القديم في شارع الصحافة،فليت ستريت، لقد أخرج نيكولاس كاسبيان من العمل كل الطابعين الكبار في السن عندما انتقلت الصحيفة إلى مقرها الجديد. حرفة الطباعة القديمة قد اكتسحتها الماكينات الكهربائية. والتي لاتحتاج سوى الى مراقبين من الكهربائيين وعمال صيانة الماكينات.

عندما دخلت صوفي، وقع بصرهاعلى شخص مألوف لديها يسير أمامها. إنه غاي، ووقفت وهي تعض شفتها. منذ حفلة الخطوبة تلك، كانت تشعر بصدمة خفيفة لقد كان أنقذها، حينذاك، جرس الهاتف، لكنها مازالت لم تنس ماكاد يحصل بينهما. وكانت رؤيتها له تؤثر على أعصابها.

بالرغم من الريح القارسة التي كانت تشعث شعره وتعبث بالشال الأحمر القاتم حول عنقه، بدا أنه غير مستعجل لذلك. لاشك أن السبب هو انشغاله بالحديث مع الفتاة الشقراء السائرة بجانبه.

عضت صوفي شفتها عندما عرفت في الفتاة الشقراء فاليري نايت. أبطأت في سيرها لكي تبقى خلفهما، وهي تراقبهما بغضب. إن جيب لن يعجبه أن يرى فاليري تبتسم لغاي بهذا الشكل.

أخذت صوفي تتأملها وهي تخفق بأهدابها وتتغنج عابثة. إن جيب لن يعجبه ذلك على الإطلاق. لقد بقي يلاحق فاليري زمناً طويلاً، لابد أن يكون بالغ الغيرة عليها، خصوصاً بالنسبة إلى غاي.

ليست صوفي في ظهر الفتاة، فهي لاتحبها ولم تحبها ا. ليس فقط لأنها كانت تغار منها، وإنما لأن فاليري كانت فظة في معاملتها للآخرين ، كما كانت ذات عقل طموح تخفيه خلف مظهرها البالغ الأنوثة. كانت تستغل أنوثتها بقوة لكي تحصل على ماتريد.

يبدو أن الرجال لم يلحظوا ذلك، بعكس النساء، وخصوصاً صوفي، لم تنكر أن فاليري رائعة الجمال. بل اكثر من ذلك، كانت تبدو وكأنها نجمة سينمائية كما كانت ترتدي ملابس ملفتة للأنظار. أخذت صوفي تحدق في ماكانت ترتديه فاليري هذا النهار. معطف واسع التنورة ذو حواشٍ ومقلب من الفراء مع شرائط مخملية سوداء، وقبعة روسية الطراز من الفراء الأبيض، وحذاء أسود عالي يصل إلى الركبتين.

تمنت صوفي لو أن لديها الشجاعة الكافية لكي ترتدي مثل هذه الأزياء هي ايضاً. لكنها كانت دوماً تنتهي باختيار ملابس تقليدية ذات طراز هادىء الأناقة قليل الكلفة.

ربما كان هذا هو السبب في إنفاقها كثيراً من الوقت على مظهرها، محاولة أن تبدو بمظهر مصقول وشخصية واثقة. فتجعل من شعرها الطويل البني الذهبي«شينيون» فوق رأسها، ثم ترتدي ملابس تقليدية تجعلها تبدو هادئة لاعيب فيها.

أخذت صوفي تنظر إلى غاي يضع ذراعه حول فاليري لكي يديرها حول مجموعة من العمال .

توترت شفتاها، كان واضحاً أنه لايستطيع سلخ عينيه عن فاليري، رغم أنها الآن مخطوبة لرجل آخر.

لقد كان أخبرها تلك الليلة بأنه كان يحب فاليري، ولكن صوفي لم تستطع أن تفهم ذلك. ألم يدرك أنه لم يكن من نوع فاليري على الإطلاق؟فهي في الحقيقة، لاتهتم برجل مثل غاي، فهو بالغ الذكاء وذو عقل بالغ الجد والرصانة.

أتراه يظن أن فاليري ستتشاجر مع جيب؟ كان هذا محسوباً، طبعاً. فالإثنان متقلبا المزاج، لايمكن الركون إليهما، وعنيفان قليلاً، وهذا ماجعلهما متلائمين وماجذبهما إلى بعضهما البعض، ويمكنه أيضاً أن يسلخهما عن بعضهما البعض دون سابق إنذار.

ولكن كيف يحترم غاي نفسه وهو يتسكع حول فاليري ليتلقاها إذا ما ألقى بها جيب؟ شعرت صوفي وكأنها تريد أن تضربه. أين كرامته؟ لقد أذاها جيب كثيراً، ومازالت تتألم في أعماقها كلما فكرت فيه. لكن كرامتها تأبى عليها التسكع حوله تنتظر منه أن يعود إليها. منذ أن علمت بأن كل شيء قد انتهى، جعلت نفسها تقبل بذلك. وهي تفضل الموت على أن يعلم أحد، وخصوصاً جيب، بأنها تألمت لأجله.

عندما تبعتهما عبر الردهة إلى حيث المصاعد، ألقت نظرة عفوية على الباب الزجاجي الى «بلازا» وهي الساحة المكشوفة في وسط المجمع. وإذا بالدهشة تتملكها وهي ترى جيب، كان ظهره إليها داخلاً إلى مقهى توريللي، فاندفعت مسرعة إليه، شاعرة بإحساس خفيف بالذنب، والتمرد في نفس الوقت، حسناً، لما لا؟

إذا كان بإمكان فاليري نايت أن تعبث مع غاي، لماذا لاتتحدث هي مع جيب؟ قد تكتشف ما إذا كان ثمة مشاكل بينه وبين فاليري، أم لا.

عندما دخلت إلى توريللي، نظر جيب حوله ومنحها ابتسامته العريضة النابعة من القلب.

«آه، مرحباً ياصوفي، يالها من صدفة غريبة. فقد كنت لتوي أخبر السيدة توريللي بأنك نصف إيطالية، فقالت إنك تصنعين«عصيدة» جيدة جداً. »

احمر وجهها وهي تضحك قائلة:«لاتهتم بكلامها، فالعصيدة ليست جيدة بالقدر الذي تقوله.»

أصّر جيب قائلاً وعيناه تتألقان:«بل هي كذلك. من المؤسف أنك متزوج ياروبرتو، فإن صوفي تناسبك تماماً. بإمكانها أن تستلم كل مهام الطهي وتحاسب الزبائن أيضاً. إنها ليست مجرد طاهية جيدة، وإنما ذكية أيضاً.»

فقالت والدته ساخرة:«لايمكن أن تكون أسوأ من زوجته، وهذا أكيد! إن ساندرا لاتستطيع أن تصنع العصيدة ولو كان فيها حياتها.»

لم تكن والدة روبرتو تخفي كراهيتها لكنتها. ذلك أن ساندرا لم تسطع حتى الآن أن تعطيها أحفاداً. وهذا الفشل هو أسوأ من طهيها السيء.

احمر وجه روبرتو وهي يتمتم قائلاً: «أنني لم أتزوجها لأجل عصيدتها.»

«إسمح لي أن أسألك لماذا تزوجتها. فانا لم أعرف سبب ذلك حتى الآن.»

زمجر روبرتو يقول:«إنك لم تحبي ساندرا قط.» ثم أخذ يتمتم بالإيطالية.

فهمت صوفي مايقوله تماماً. فقد كانت تجيد اكثر من لغة واحدة. حيث أن والدة أبيها كانت إيطالية، فقد كان الحديث

في بيتها يدور بالإيطالية والانكليزية طوال حياتها، هذا عدا عن لغات أخرى عدة. مما سهل عليه تعرفه بوالدتها. فقد تعارفا في نادٍ دولي في لندن عندما كانا في أوائل العشرينات من العمر.

كانت أمها هي الصغرى في أسرة «بيتوفي.» كانت صبية صغيرة خلفوها وراءهم مع أخت لها متزوجة عندما هرب الخال ثيو من هنغاريا في أعقاب ماجرى من كوارث بعد الحرب العالمية الثانية. وعندما أصبحت في سنتها الجامعية الأولى، ثار الهنغاريون على تسلّط الروسيين عليهم. سحقت الدبابات الروسية تلك الثورة بقسوة وذلك في سنة ١٩٥٦ هرب ألوف من الهنغاريين عبر حدود النمسا. وكانت ميرا بيتوفي بينهم. لم تأخذ معها شيئاً من بلدها وهكذا وصلت إلى فيينا مفلسة. لكن الخال ثيو بذل جهده في إحضارها إليه الى انكلترا بصفة تلميذة. عندما أخذت شهادتها وجد لها الخال ثيو وظيفة مترجمة حيث تعرفت إلى برونو واطسن فأحبّا بعضهما البعض وتزوجا.

ضحكت والدة روبرتو بغيظ: «أحبها؟ وماذا أحب فيها؟ انها...»

زمجر روبرتو غاضباً: «ماما!»

تبادل صوفي وجيب النظرات. لقد اعتاد أفراد أسرة توريللي أن يتشاجروا أثناء خدمة الزبائن. وكان الناس يستمتعون بهذه التمثيلية اليومية.

سأل روبرتو جيب ببرودة وهو يدير ظهره لأمه: «ماذا كنت طلبت، ياجيب؟»

«فنجان قهوة آخذه معي. وحلوى دانمركية.»

هذا بينما كانت السيدة توريللي الأم تدمدم بالإيطالية: «في اللحظة التي رأيتها فيها. أدركت أنها ليست صالحة.»

كانت متحكمة في حياة ولديها اللذين كانا يخشيانها ويحبانها ويكرهانها في نفس الوقت.

إلتفتت إلى جيب تقول: «كنت أعلم أنك ستأتي. لهذا احتفظت لك بأحسن ماصنعناه من الحلوى الدانمركية. الكسترد مع المشمش، المفضّل لديك. أتريدها ساخنة؟ ستكون جاهزة في نصف دقيقة فقط.»

قال جيب: «لو لم اكن خاطباً، لطلبت منك أن تتزوجيني.» فضحكت بصوت عال وهي تهز رأسها له: «يالك من فتى ماكر، أنا بسن جدتك.»

«أنت أجمل من جدتي بكثير. إن لها شاربين.»

«والآن، لاتسيء الادب بالنسبة لجدتك. فهي تحبك، ومن لايحب فتى مثلك له هذا القلب الذهبي والإبتسامة الحلوة؟ بعض الأمهات محظوظات. أما أنا فلدي هذا الأبله هنا. الذي يذهب ويتزوج فتاة غير صالحة لايعلم أحد من أين.»

سأل روبرتو صوفي: «ماذا أحضر لك، ياصوفي؟» فابتسمت وهزت رأسها: «لاشيء حالياً، ولكن هل لك أن تجهز لي شطائر سلطة للغداء وعلبة سلطة فواكه في عصير طبيعي، وسأحضر لأخذها حوالي الواحدة.»

كتب روبرتو ماطلبت، وقال: «بكل تأكيد.»

وضعت السيدة توريللي الحلوى الدانمركية في كيس مع فنجان قهوة مغطى من البلاستيك.

عندما غادرا المقهى، كانت رقائق من الثلج قد أخذت

تتساقط. وقف جيب ونظر الى السماء عابساً. ثم وضع ذراعه حولها وركضا معاً عائدين إلى الردهة الواسعة حيث التدفئة المركزية.

تبعها جيب إلى المصعد وابتسم لها قائلاً:«لم أجد فرصة أتحدث فيها معك في الحفلة، شكراً للهدية. لقد أعجبنا بها جدا،أنا وفاليري.»

تساءلت عما إذا كان تذكر حقاً ماالذي كانت اختارت لهما... وهو إناء زجاجي للسلطة أخضر اللون وجميل جدا، ومعه الأطباق الملائمة.

قالت بشيء من الجفاء:«أنا مسرورة إذ أعجبتكم.»

قال بسرعة متجنباً عينيها:«هل استمتعت بالحفلة؟ عندما نظرت حولي أبحث عنك لأتكلم معك، لم أجدك.»

قال كاذبة:«شعرت بصداع بالغ، فأخذني غاي إلى بيتي.»

قلب جيب شفتيه:«حسناً، أنا لاألومه... لقد بدوت جميلة للغاية، كعادتك دوماً.»

خفضت بصرها وقد تكهنت بأنه لم يتذكر ماكانت تلبسه أو كيف كانت تبدو. لقد كانت تراقبه حينذاك، فرأت أن عينيه كانتا مسمرتين على فاليري وحدها.

لكنها تظاهرت بالإبتسام:«شكرا.»

إنقبض قلبها عندما توقف المصعد وخرج جيب إلى الطابق الحاوي على مكتبه. في كل مرة تقول له فيها وداعاً، كان ذلك يبدو وكأنه الى الأبد. وهذا ماحدث الآن خصوصاً بعد كل ماحدث.

وجدت غاي في مكتبها يقلب الرسائل الواردة التي كانت على المكتب.

نظر إليها، بعينين حادتين وباردتين:«لقد تأخرت.»

منذ تلك الليلة، توتر الجّو بينهما. تجنبت النظر إليه واحمرت وجنتاها. قالت وهي تعلق معطفها:«آسفة، لقد أعاقني عائق.»

نظر من النافذة:«هل هو الجّو؟ ها قد ابتدأ الثلج يتساقط مرة أخرى. ربما سيكون الشتاء القادم قاسياً. ومع ذلك، العيد الأبيض هو شيء ممتع. سأمضي العيد في الريف مع أسرتي، كما أظن. هل لديك أسرة تمضين معها العيد، ياصوفي؟»

«نعم.» وبأعصاب متوترة، أدارت مطحنة القهوة، ثم جلست خلف مكتبها.فتحت الأدراج ثم ابتدأت عملها اليومي.

قالت:«إنهم يتوقعون مني أن اكون هناك. إنهم يحبون إعادة شمل أفراد الأسرة في العيد. إنهم يشعرون بفقدانهم العيد الحقيقي إذا هم لم يذهبوا إلى مكان آخر. في كل عيد يتملكهم الحنين فيأخذون في الحديث طوال الوقت عن الماضي. عن هنغاريا أو ايطاليا، أو طفولتهم.»

«هل خالك الذي تقيمين في بيته هو هنغاري؟ منذ متى هو في هذه البلاد؟» قال ذلك وهو يجلس على زاوية المكتب مرسلاً التوتر في أعصابها بشكل لم تعرفه من قبل.

ولكي تستر اضطرابها، استمرت في الحديث، وكان هذا أمراً غير عادي بالنسبة إليها. دوماً كانت تتضايق من الحديث عن حياتها الخاصة، أو أسرتها أو ماضيها.

أخذ غاي يصغي إليها باهتمام وهي تقول: «مازال

الخال ثيو يعيش في لندن، في نفس المنزل، منذ أربعين عاماً. لكنه مازال يفكر وكأنه لاجيء، وأمي كذلك.»

«هل هي هنغارية، كذلك؟»

«نعم، لكنها لم تمضِ هنا وقتاً طويلاً مثله. إنها هنا منذ العام١٩٥٦.»

ضاقت عينا غاي:«آه، الثورة الهنغارية؟ لقد قرأت كتاباً عن ذلك، حديثاً. لقد نسيت اسم الكاتب. لكنني سأعيرك إياه إذا كنت تحبين قراءته.»

«قد يكون عندنا، إن خالي ثيو يشتري كل كتاب عن هنغاريا.» قالت ذلك ساخرة ثم ضحكت.

إقترب غاي منها ينظر في عينيها . شعرت بالدم يجري في عروقها وكأنما ارتفع ضغطها فجأة...

لكنها شعرت بالإرتياح لرنين جرس الهاتف في تلك اللحظة. فتناولت السماعة بينما غاي ينظر إليها، وفي عينيه لمحة من سخرية.«إنه محامي السيد كامرون. هل تريد أخذ المكالمة في مكتبك؟» تمتمت بذلك دون أن تنظر إليه.

هز رأسه وأخذ منها السماعة وهو يقول لها:«آتني بفنجان من هذه القهوة قبل أن تبرد.»

أطاعته باستياء، وهي تسمعه يتكلم خلفها وهي تسكب القهوة:«نعم، غاي فوكنر يتكلم. صباح الخير يا آرتي... كيف حالك؟ نعم، أنا بخير، كذلك.» ثم سكت وأخذ يصغي باهتمام . ثم قال:«حسناً، أنا مسرور جداً لسماع هذا. حالما تسمع النتيجة، دعني أعلم. شكراً لاتصالك.»

وضع السماعة مكانها فالقت عليه صوفي نظرة استفهام. إبتسم لها والرضا في وجهه.

«لقد وافق كامرون على القيام بسلسلة من الإختبارات ليتأكد مما إذا كان بإمكانه أن ينجب أم لا. وهكذا، اذا ساعدنا الحظ، يمكننا أن ننتهي من هذه القضية بسرعة.»

أشرق وجه صوفي:«حسناً، هذا رائع. ليس بالنسبة إلى الصحيفة فقط، فأنا أعلم أن سنتنال ستجتاز هذه الورطة. لكنني كنت أفكر في الطفلة ومولي غرين. فإذا أثبت الإختبار أن الطفلة منه، تصور ماسيحصل لهما.»

أخذ يتأملها بجفاء:«لاتكوني متفائلة اكثر من اللازم، ياصوفي. فالفهد لايغير جلده بسهولة. حتى ولو أسقط كامرون الدعوى ضد سنتنال ربما يبقى منكراً أنه الأب. وهذا يعني أن يدفع لمولي أموالاً كثيرة.»

«هذه نظرة ساخرة إلى الأمر.»

«واقعية فقط. الأفضل أن ننهي الرسائل الآن.» حمل فنجان قهوته ثم ذهب الى مكتبه فتبعته حاملة قهوتها والرسائل المطلوب الإجابة الفورية عليها، ثم دفتر الملاحظات.

ماأن أنهيا الرسائل، حتى كان على غاي أن يذهب إلى اجتماع مع«سين بيتس» المدير المنفذ للصحيفة، ومع فابيان أرنود رئيس التحرير وبعض المحررين الآخرين.كانوا يخوضون في حديث يعيدون فيه تقييم التغيير الذي أحدثه نيكولاس كاسبيان في اتجاه سياسة الصحيفة منذ استلمها. كانت هناك مشاكل مختلفة ليس أقلها عدة تهديدات بإجراءات قانونية من أناس شعروا بأن أعمدة الصحيفة أساءت إليهم بشكل ما.

قال سين بيتس وهو يفتح الحديث في غرفة مجلس الإدارة:«لقد سافر نيكولاس إلى لكسمبورغ فجأة الليلة الماضية حيث ثمة مشكلة عليه أن يعالجها شخصياً. أرسل يعتذر طالباً مني أن أنوب عنه. كما أن لدينا اعتذاراً آخر عن الغياب. فقد اتصلت زوجة جاك هورتون لتقول إنه مصاب بالسعال... إنكم تعرفون مبلغ ضعف رئتيه مؤخراً. ولا يدهشني إذا ماقرر جاك التقاعد مبكراً. على كل حال، إنه في ا لفراش الآن.»

تمتم غاي يقول:«لاشك أن هذا أفضل مكان في يوم كهذا.» فتوجهت أنظار الجميع ينظرون من النافذة إلى السماء الغائمة.

قال شخص ما:«سيزداد تساقط الثلوج حسب قول نشرة الأخبار.»

تصاعدت تأوهات من حول المائدة، بينما تابع سين يقول:«حسناً، من حسن الحظ أنني ذاهب إلى فلوريدا في عطلة العيد.»

تصاعدت الضحكات:«إنك لست ذاهباً إلى هناك لأجل أشعة الشمس،بل لأجل الغولف. ألا تعترض زوجتك على سفرك لقضاء العيد في الخارج؟»

«إنها تمضي العيد في التفرج على التلفزيون، على كل حال. ولهذا لايهمها أين تكون أثناء ذلك .» ونظر إلى ساعة الجدار:«هل نبدأ؟»

عندما عاد غاي إلى المكتب. وجد صوفي تأكل غداءها على مكتبها.

نظرت إليه وقد احمر وجهها:«آه، آسفة، هل تريد شيئاً؟»

«كلا. لاتدعيني أقطع عليك طعامك.»

«لقد انتهيت تقريباً.»

«هل لديك قهوة؟»

«نعم، إنها مازالت ساخنة. هل أحضر إليك فنجاناً في مكتبك؟»

أجاب وهو يسير نحو إناء القهوة:«سأحضره بنفسي.» وسكب فنجاناً من القهوة السوداء ثم جلس على طرف مكتبها كما سبق وفعل من قبل، بينما أخذت صوفي تنظف مكتبها من بقايا الطعام .

ثم قالت وهي تنهض واقفة:«لقد أعددت لك الرسائل للتوقيع.»

«لاتستعجلي، فما زال الوقت فرصة الغداء. عودي إلى الجلوس.» ثم نظر إليها من خلال أهدابه وهو يرشف قهوته.«كنت أفكر في والدتك. كم كان عمرها عندما تركت هنغاريا؟»

جلست صوفي شاعرة بالضيق. لقد عملا مع بعضهما البعض شهوراً دون أن يعلم الواحد منهما عن الآخر شيئاً. وكان ذلك ماتريده. كانت تحذر العلاقات القوية، خصوصاً مع غاي فوكنر بعد تلك الليلة. لم تكن تريده أن يعلم الكثير عنها. فقالت باختصار:«كانت في السابعة عشرة.»

«كيف تمكنت من الخروج من البلاد؟»

«سيراً على الأقدام.»

قال ساخراً لاوياً فمه:«هل هذا من أسرار الدولة؟ لماذا أنت متكتمة إلى هذا الحد؟»

«لاأدري لماذا تريد أن تعلم...»

حدق فيها ساخراً بعينيه الزرقاوين. فقالت بشيء من الإستياء:«لقد سارت في الحقول والغابات إلى حيث عبرت الحدود إلى النمسا.وكان سيرها غالباً في الليالي كيلا يرونها.»

«هل كانت وحدها؟»

أومأت صوفي إيجاباً:«كان جداي قد توفيا منذ سنوات، بينما بقية أسرتي لم تشأ الهجرة. لكن أمي كانت تعرف منطقة الحدود لأنه كان لنا أقارب هناك. وهكذا انطلقت بمفردها.»

«هذا رائع.» قال ذلك فظنته يسخر منها لكنها عادت فرأت الجد في وجهه. وعاد يقول: «كيف وصلت الى إنكلترا؟»

«خالي ثيو تدبر الأمر. إن لديه أصدقاء في كل المناطق. قام باتصالات هاتفية، وتحدث إلى الناس إلى أن أحضرها إلى هنا حيث عاشت معه في منزله طبعاً، فالمكان واسع.»

«ولكن ألا تعيش هناك الآن؟»

«كلا، طبعاً، فهي تعيش مع أبي في دلويش.»

«لكنك تفضلين العيش مع خالك ثيو؟»

«ذلك أقرب إلى عملي اليومي، كما إنني أشعر بمزيد من الاستقلال.»

«أتذكر أنك قلت مرة ان خالك يعمل في محطة الإذاعة البريطانية؟»

«جزء من الوقت، فهو مؤرخ. إنه يكتب حالياً تاريخ هنغاريا وأنا أطبعه له على الآلة الكاتبة وأحاول أن

أساعده بالنسبة إلى اللغة الإنكليزية. إن لغته جيدة، ولكن تفوته أحياناً الإختلافات البسيطة بين المعاني.»

«هل كتب اي شيء آخر من قبل؟ أي شيء نشر؟»

«نعم، تاريخ سنة١٨٤٨.»

«عام الثورة في أوروبا! نعم، طبعاً، لقد حدثت أشياء كثيرة في هنغاريا حينذاك. هل مازال الكتاب يباع؟ أحب أن أشتريه.»

«يمكنني إعارتك نسخة إذا كنت تريد قراءته حقاً.»

«طبعاً أريد، شكراً، سأذكرك بذلك. ماذا كنت تعنين بقولك إن أمك وخالك مازالا يعتبران نفسيهما لاجئين.»

احمر وجهها:«هل قلت أنا هذا؟ حسناً، هذا صحيح. إنهما لم يشعرا قط بأن هذا وطنهما هنا، فهما يعتبران نفسيهما هنغاريين. كل أصدقائهما هنغاريون، وهما يقرآن صحفاً هنغارية، حتى الطعام هو غالباً هنغاري.»

«حسناً، لقد كانا راشدين حين تركا البلاد أليس كذلك؟ هذا طبيعي. ألم تسافري أنت إلى هنغاريا قط؟»

هزت رأسها نفياً:«لكنني أشعر وكأنني سافرت إلى هناك لكثرة ماأسمع عنها، خصوصاً في العيد. ليس لدينا عادة طهي ديك الحبش وحلوى العيد، وإنما لدينا الإوز نطهيه في مرق ملىء بالبهارات المتنوعة... أظنك ستكره ذلك.»

«يبدو من الوصف أنها لذيذة.»

نظرت إليه مجفلة اذ لم تكن تتوقع ذلك. وإنما توقعت أن يكون ذوقه في الطعام إنكليزياً بحتاً. وابتسم هو لها مازحاً:«وماذا لديكم من أصناف الحلوى؟»

«زلابية وكعك محشو بالزبيب والبهارات. وفوقها قشدة مزيجة بالقرفة.»

«وهذا ألذ. أخبريني بالمزيد...»

فضحكت:«ثمة أنواع كثيرة بأسماء هنغارية لايمكنني شرحها.»

«لاأظن أباك هنغاريا واسمه واطسن.»

«كلا، ولكنه من سلالة إيطالية. وهو أيضاً يعتبر نفسه منفياً. إنه لايشعر بنفسه انكليزياً حقيقياً. وهذا ماجمع بينه وبين أمي. هما الإثنان كانا يعتبران نفسيهما أجنبيين.»

«لابد أن أمه هي الإيطالية.»

«نعم، إنها من بلدة صغيرة تدعى«كامبيون» جاءت في البداية إلى انكلترا طاهية في منزل ديبلوماسي إيطالي ثري. وذلك سنة ١٩١٠ وكانت مخطوبة لرجل في بلدها. وكانا سيتزوجان عندما يدفع والدها«دوطتها» للعريس. وكان هذا ضرورياً في تلك الأيام. وكانت توفر كل راتبها لجهازها. ثم تعرفت إلى جدي سنة١٩١٢ في حديقة هايد بارك، وبعد ثلاثة أسابيع هربت معه.»

«يالها من قصة خلابة.» وبدت على وجهه إمارات التسلية، ماجعلها ترى أنه لا يدري إن كان يصدقها أم لا. فقالت: «حسناً،كل كلمة قلتها لك صحيحة.»

طوال حياتها كانت تسمع حكايات الأسرة الشيقة هذه. لكنها كانت تعلم أن الآخرين لن يصدقوها إذا أخبرتهم بها. وكان هذا هو السبب في أنها لم تكن تتحدث عن أسرتها. ولاتدري ماالذي جعلها تخبر بها غاي فوكنر من بين كل الناس.

نظر إليها متأملاً: «أنا واثق من صحتها.»

قالت بشيء من التوتر:«ماكان مخدوموها ليسمحوا لها بالزواج من جدي. فقد كانوا يعلمون بأن خطيبها ينتظرها في الوطن. وقد وعدوا والديها بأنهم سيرعونها ويهتمون بها وستكون آمنة معهم. كان لديها نصف نهار إجازة في الأسبوع. وحينذاك لم يكونوا يسمحون لها بالخروج وحدها بل مع خادمة تكبرها سناً. لم يعلم مخدوموها بأن لتلك الخادمة الأخرى صديق، فتركت جدتي وشأنها. لكن مخدوميها كانوا سيرسلونها إلى أهلها في إيطاليا لو كانوا اشتبهوا في أنها تعرف رجلاً. من المؤكد أنهم ماكانوا قبلوا بجدي.»

«ولماذا لا؟ ألم يكن رجلاً محترما؟»

«كان فقيراً، كان يمتهن الموسيقى. يعزف على الأرغن في قريته أيام الآحاد وفي الأعراس. كان يكسب مايكفيه للعيش، لكنه ماكان ليصبح رجلاً غنياً. وكانت هي تعلم أن أسرتها ماكانت لتقبل به. وهكذا هربت مع جدي إلى سكوتلندا وتزوجا هناك.»

ضحك غاي بصوت عال:«إن لك أسرة مثيرة حقاً، وماذا حدث بعد ذلك؟»

«لقد عاشا سعيدين الى آخر حياتهما.»

فتمتم بابتسامة ساخرة:«طبعاً.»

قالت باصرار:«كان زواجهما سعيداً تماماً، عاشا معاً حياة رائعة، وتوفيا خلال أسبوع واحد هما الإثنين.»

«وماذا فعلت أسرتها في إيطاليا، هل صفحوا عنها؟»

«فقط بعد أن ولد لهما طفلهما الأول... والذي هو أبي.

دعته برونو باسم أبيها. ولكنها لم تعد قط إلى بلدها في إيطاليا أثناء حياة والديها، وكان هذا محزناً للغاية.»

«يبدو وكأنها كانت من السعادة بحيث لم تشأ مفارقة زوجها. كان بإمكانها البقاء والزواج في بلدها، لكنها لم تفعل. بل جاءت إلى انكلترا وتزوجت جدك بسرعة بالغة.»

وألقى عليها نظرة جانبية لاويا شفتيه، «لكن النساء دوما يفعلن مايردن بالضبط، وبعد ذلك يلقين باللوم على الرجال، غالباً.»

قالت متوهجة الوجه:«هل هذه وخزة لي؟»

«لماذا؟ هل تلحظين شبهاً في الأوصاف؟»

«كلا، ولكنني رأيتك تنظر إلي نظرة ذات معنى وأنت تقول ذلك.»

«كنت أتذكر كيف حاولت إغوائي تلك الليلة.»

فالتهب وجهها:«أنا حاولت ماذا؟ كنت مكتئبة فحاولت أنت إغوائي مستغلاً ذلك.»

فضحك ساخراً:«حاولت؟ هذا صحيح، لولا تلك المخابرة...»

فقاطعته بغضب:«كان عليّ أن ألقي بك خارج شقتي.»

«لكنك لم تقبلي حتى أن أجيب على المكالمة الهاتفية.»

«إنك تعلم جيداً السبب. لم اكن أريد أن يعلم أحد أنك عندي.»

لم يجب، بل مال نحوها يمسك بجانبي كرسيها بيديه الإثنتين يسجنها بينهما.

أجفلت صوفي ورفعت بصرها إليه فرأته يتأمل ملامحها، ثم يقول:«جيب كولينغوود لم يكن الرجل المناسب لك، على كل حال. إنسيه ياصوفي.»

سألته ساخرة:«كمانسيت أنت فاليري نايت؟»

نظر إليها بحيرة:«ماذا تعنين بذلك؟»

«لقد رأيتكما معاً هذا الصباح. رأيتك تبتسم لها وتضع ذراعك حولها... إنك لن تنساها بهذه الطريقة!»

تألقت عيناه بالمزاح:«تبدو عليك الغيرة، ياصوفي.»

حوّلت عينيها عنه وقد التهب وجهها. الغيرة؟ فكرت لحظة في ذلك وقد تملكها الفزع. ثم تمالكت نفسها. يجب أن لاتدعه يظن لحظة واحدة أنه أصاب منها الهدف.«أغار عليك؟ لاتخدع نفسك.»

سألها بصوت رقيق:«لماذا أنت غاضبة إذن؟»

وتجاوب هذا السؤال في رأسها. نعم، لماذا غضبت عندما رأتهما معاً؟ لم تستطع أن تنكر أنها، عندما رأتهما هذا الصباح، تمنت لو تضربه. لكنها حرصت على أن لايظهر تأثير هذا الاعتراف على ملامحها، فقالت بحدة:«فقط لاأحب أخذ النصائح من شخص لايستطيع تدبير أمور حياته، فكيف بأمور حياتي؟»

ازداد اقتراباً منها وقال:«هل هذا كل ما في الأمر؟ هل أنت واثقة من ذلك؟»

لم تكن كذلك طبعاً، لكنها كانت بحاجة إلى وقت تفكر فيه.وهي طبعاً لاتريد أن يلحظ غاي عدم ثقتها هذه،فقد كان سريعاً في استغلال أي ضعف يبدو عليها. فلاعجب أن يكون محامياً شديد المهارة

والدهاء. وذكرها ذلك بالرجل الذي تعرفت إليه في النادي الليلي. لاشك أن أندريس كيرك مخيف هو أيضاً.

قالت بفتور:«بكل تأكيد.» وقبل أن يقول شيئاً، سألته بشكل عفوي:«بالمناسبة، هل سمعت بمحام اسمه أندريس كيرك؟»

تشنج جسم غاي، وضاقت عيناه:«وماذا بشأنه؟»

«لقد تعرفت إليه. هذا كل شيء. وقد تملكني الفضول نحوه.»

فقال بجفاء: «أحقاً؟ حسناً، ليس من الحكمة أن تشعري بالفضول نحو أندريس كيرك. إن لديه بعض المعارف الخطرين جدا. انه اختصاصي في قانون الجرائم، وبعض زبائنه لاتحبين أن تصادفيهم في ليلة ظلماء.»

«نعم، لقد قال توم شيئاً كهذا.»

إزدادت نظراته حدة:«إذن، توم هو الذي عرّفك بأندريس كيرك؟ هذه هي المشكلة مع مخبري الصحف المختصين بالجرائم. إنهم يختلطون بالمشبوهين. لقد سبق وأنذرتك بأن توم ليس من نوعك. أليس كذلك؟»

فقالت بخشونة:«إنك لاتعرف ماهو نوعي.»

فابتسم ساخراً:« لاتكوني واثقة من ذلك. فأنا أتعرف إلى الكثير عنك.»

فكرت صوفي. هل هذا سبب كل تلك الأسئلة التي وجهها إليها؟ أم أنه يتحدث عن أمر مختلف تماماً؟

وبهدوء، تمتم غاي يقول:«طالما تساءلت عما وراء ذلك القناع الهادىء الذي يكسو وجهك في المكتب، على الدوام.

يبدو عليك الكفاءة والإتزان البالغان. والمقدرة... منعزلة نوعاً ما. إنك تتعمدين هذا، أليس كذلك؟ لقد كافحت كثيراً في سبيل اخفاء صوفي الحقيقية عن الآخرين.»

تظاهرت بالضحك، لكن الإرتجاف بدا في صوتها:«صوفي الحقيقية؟ من هي؟»

تمتم يقول:«لست واثقاً تماماً، بعد. لكن ذلك القناع البارد لم يعد يخدعني، لأنني أعلم الآن أن خلفه امرأة دافئة المشاعر.»

«آه، كفى.»

نظر إليها بقسوة:«ماذا جرى ياصوفي؟ ماالذي يخيفك؟ أنا لست بحاجة الى أن اكون محللاً نفسانياً لكي أدرك أن غرامك بالنظام، وبأن تكوني تقليدية في مظهرك، وكرهك للوقوف بين الجموع، كل ذلك نتيجة كونك آتية من أسرة تعتبر نفسها على الدوام غريبة منفية، في غير وطنها.»

فقالت بغضب:«أنا أحب أسرتي.»

ابتسم لها وقد بدت على وجهه رقة:«أنا واثق من ذلك، ومع ذلك فقد كنت تتصرفين ضدهم طوال حياتك، محاولة أن تعثري على قيمتك الخاصة، ومكانك الحقيقي في العالم.»

هزت كتفيها بضيق:«أظننا جميعا نفعل هذا.»

«طبعاً نفعل ذلك، فهذا جزء من النمو والإنفصال عن الوالدين. نتعلم لنكون شخصيات مستقلة. وهذا يفسر الكثير عنك بما في ذلك سبب انجذابك إلى جيب. إنه شاب محبوب جدا ينسجم مع كل جماعة يختلط بها. دون

معوقات أو مشاكل عليك أن تكافحيها. كنت تشعرين معه بأنك في مكانك المناسب، أليس كذلك؟»

«هل لك أن تتوقف عن محاولة تحليل نفسيتي؟» وأخذت تدفعه عنها بضيق، تريد الوقوف، لكنها تعثرت فسقطت إلى الأمام فتلقاها بذراعيه، إبتسم لها، فقرأت معنى الإنتصار في تلك الإبتسامة. شعرت بالغضب:«لا أستطيع متابعة العمل معك، إذا كنت ستمسك بي في كل مرة نكون فيها وحدنا.»

«أنا لم أمسك بك، بل أنت التي فعلت ذلك! إنك ألقيت بنفسك عليّ.»

ثار غضبها:«لقد تعثرت قدمي. وهذا لايمنحك الحق في أن تأخذني بين ذراعيك.»

إتسعت عيناه ببراءة:«ولكن...ظننت أن هذا ماتريدينه!»

«أنت كذاب. لم تظن شيئاً كهذا؟»

قال بابتسامة ساخرة:«وماذا كنت لأظن غير هذا؟»

بلغ من غضب صوفي أن تناولت فنجان قهوتها ورشقته به. لكنه لم يصبه وإنما تجاوزه إلى الجدار خلفه حيث تهشم إلى عشرات القطع محدثاً دوياً عالياً.

ذعرت لثورتهاهذه، فوقفت جامدة وهي تتنفس بشكل غير متّزن.

تمتم غاي يقول رافعاً حاجبيه:«حسناً، حسناً، إنك تصبحين اكثر إثارة للإهتمام يوماً عن يوم.»

كانت ماتزال تستوعب سخريته تلك، عندما رن جرس الهاتف فأجفل الإثنان لكن غاي هو الذي وصل إلى السماعة أولاً:«القسم القانوني.»ثم ارتفع حاجبيه وهو

يصغي. ثم، ببطء، إلتفت ناحية صوفي وقد بدا الغموض على وجهه .

كانت صوفي ماتزال تحاول تمالك مشاعرها المشتتة. ولم تكن تفكر في المكالمة الهاتفية، والتي ربما كانت لأجل غاي، على كل حال. كان الذهول لفقدها أعصابها بذلك الشكل مازال يتملكها. لقد أمضت حياتها تسيطر على أعصابها فتبدو هادئة متزنة، فما الذي حدث لها الآن؟

قال غاي بصوت جاف وهو يناولها السماعة:«إنه لك. أندريس كيرك.»

الفصل السادس

ترددت صوفي وهي تتقدم لتأخذ السماعة من غاي، متجنبة عينيه. ثم ابتعدت عنه قبل أن تبدأ بالكلام قائلة بصوت أبح:«آلو؟ هنا صوفي واطسن.»

بدا ذلك الصوت العميق الرنان ودوداً رغم أنهما لم يتقابلا سوى مرة واحدة.«آلو صوفي. هنا أندروس كيرك. لقد كنا تقابلنا في النادي الليلي. أتذكرين؟»

«نعم، طبعاً.»

اجابت بذلك وهي تشعر بغاي يقف خلفها مباشرة يستمع الى كل كلمة تقولها.

دل صوت اندريس كيرك على أنه كان يبتسم وكأنما سرته البحة في صوتها. لاشك أنه كان يحمّله معنى مختلفاً جدا عن الحقيقة.

«ارجو أن لايكون ثمة بأس في الإتصال بك إلى العمل، فأنا لاأملك رقم هاتف بيتك، طبعاً.»

«حسناً،إنني مشغولة جداً...»

«سأستعجل إذن. أحب أن أراك مرة أخرى،ياصوفي. هل يمكننا تناول العشاء معاً؟»

فشهقت بدهشة، شاعرة بالضياع:«آه...»

لم تعرف ما عليها أن تقول. شاعرة بالتمزق بين الفضول البالغ الذي تشعر به نحوه، وبين حذرها المعتاد من الرجال، خصوصاً أمثاله.

قال أندريس يقنعها:«أظن لدينا مزايا عديدة متشابهة.»

عبست لسماعها هذا الذي لم تكن تصدقه.

كان توم على صلة بعالم الإجرام، هو أيضاً لأن عمله يتطلب منه ذلك. كما أن روحه المرحة تصونه من فساد ما يواجهه. أما كيرك فكان مختلفاً عنه. لقد أحست بظل خلفه، بظلمة تحيط به، فلم تشأ التورط بعلاقة معه.

«إسمع يا سيد كيرك...»

فقاطعها بنعومة:«ألن تناديني باسمي الأول أندريس؟ لقد ناديتك أنا باسمك الأول.»

ترددت وقد ازداد احمرار وجهها:«حسناً، أندريس... شكراً لك لدعوتك هذه...»

في تلك اللحظة، إنتقل غاي من مكانه مستديراً حول المكتب ليتمكن من رؤية وجهها. أجفلت صوفي عندما رأت نفسها تنظر في عينيه الزرقاوين. بينما كان هو يعبس في وجهها وهو يهز رأسه:«قولي له، كلا.»

توترت استياء منه، من يظن نفسه؟ وما الذي جعله يظن أن بإمكانه أن يملي عليها ما يريد؟ لا شأن له بحياتها الخاصة.

قال لها أندريس:«ماذا بالنسبة إلى الليلة؟»

كادت تقول له إنها مشغولة، لكنها أرادت أن تتحدى غاي بشكل علني لتجعله يعلم أن ليس بإمكانه أن يلقي عليها أوامره.

فقالت:«الليلة؟» كانت ليلة الجمعة تذهب عادة إلى مدرسة ليلية، ولكن الدروس تتوقف أيام العيد. وهكذا هي غير مشغولة هذه الليلة.

نظرت إلى عيني غاي الغاضبتين، بتمرد:« نعم. يسعدني أن أتعشى معك الليلة،يا أندريس.»

توترت ملامح غاي، واستدار على عقبية خارجاً من المكتب دون كلمة. وشعرت هي بتوترها يخرج معه. فاستدارت تجلس خلف مكتبها، منكمشة على نفسها.

«هذا رائع، يا صوفي، والآن، ما هو عنوانك لأحضر لأخذك؟»أعطته العنوان بذهن شارد وهي تنظر إلى باب غاي المغلق.

«سأكون هناك السابعة والنصف. إلى ذلك الحين...»

أنهى كيرك المكالمة من عنده، فوضعت صوفي السماعة مكانها ويدها ما زالت ترتجف.

ما الذي تملكها لكي توافق على الخروج مع ذلك الرجل؟لم تكن تريد أن تراه مرة أخرى، لكنها كانت تعلم جيداً لماذا فعلت هذا.كان عناداً ورغبة في أن تفعل ما لا يريدها غاي أن تقوم به... وكان هذا جنوناً منها. إنها لم تعد تفهم نفسها.

كانت علاقتها بغاي، إلى ما قبل ليلة الحفلة تلك علاقة عمل بالغة الهدوء والمودة. كانا يعملان معاً بانسجام، وكانت تحترمه وتعجب به على الدوام. خصوصاً لأنه حول مهنته من الصحافة إلى القانون حيث أصبح خبيراً في القانون كما كان في الصحافة.

إنها تتذكر ما قالته مرة لروز إيميري التي تعمل معها في باربري وارف:«إن العمل مع شخص مثله هو شيء مثير!إنه يجعلك تفكرين... حسناً، إذا كان بإمكانه أن يقوم بذلك، لماذا لا أستطيع أنا؟»

«أتفكرين في أن تصبحي محامية، يا صوفي؟»

تذكرت صوفي مبلغ غضبها حينذاك. فقد حملقت في روز قائلة:«لم أقرر بعد ما أريد أن أفعل. لكنني واثقة من شيء واحد، وهو أن لاشيء مستحيل إذا كانت لديك العزيمة الكافية. هذا ما أثبته لي غاي.»

عند ذلك حدقت روز فيها لحظة، ثم ابتسمت لها بحرارة واستحسان بالغين.«هذا رائع. إنني معك في هذا.»

«أظنني سآخذ بعض الدروس الليلية هذا الخريف ما يساعدني على اتخاذ مهنة، ذات يوم، اكبر أهمية من السكرتارية.»

فقالت روز:«كونك تحسنين لغات عديدة، سيساعدك في ذلك.»

نظرت صوفي، حينذاك، إلى روز بخجل:«أتظنين أن بإمكاني أن أتحول الى الصحافة؟ مراسلة صحفية أجنبية؟»

ضحكت روز، عندذلك، فجأة، ثم قالت:«حسناً، إن ما ضيك يعطيك هذا الحق. وكما قلت، لاشيء مستحيل.»

كان في هذا ما يكفي من التشجيع لصوفي. التي ابتدأت بعد ذلك سلسلة دورات ليلية تدرس فيها الصحافة. وعندما ذكرت مرة لغاي ما تقوم به، نظر إليها بعينين ضيقتين وقد بدا عليه عدم السرور لهذا الخبر:«هل يعني هذا أنني سأخسرك يوماً ما؟»

«نعم في النهاية. هذا ما أرجوه. إذا أمكنني أن أجد عملاً في سنتنال، أو صحفية أخرى.»

فعبس غاي عند ذاك:«لم أكن اعلم أنك تحبين أن تكوني مراسلة صحفية. ما الذي وضع هذه الفكرة في رأسك؟»

«أنت.»

«أنا؟ لا أتذكر أنني قلت شيئاً يمنحك هذه الفكرة!»

فقالت بهدوء: «لقد جعلتني أرى أن المرء يمكنه أن يفعل ما يريد. فالفكرة فكرتك، كما ترى.» بدت الدهشة في عينيه، ثم ابتسم: «هذا إطراء لي، يا صوفي. ولكنك تعلمين، حيث أنك تعملين طوال النهار ولا تحضرين سوى الدورات الدراسية الليلية، تعلمين أن الأمر سيستغرق سنوات قبل أن تصبحي مؤهلة للعمل مراسلة صحفية.»

فرفعت رأسها بكبرياء: «أعلم هذا. لقد فكرت في كل ذلك، كما كنت ستعمل أنت لو كنت مكاني، إذ لابد أنك كنت وضعت خطة لحياتك. ربما تطلبت منك دراسة الحقوق سنوات ..ولكن قوة إرادتك جعلتك تصمد حتى النهاية. وهكذا أنا مستعدة للإنتظار والعمل لتنفيذ ما أريد.»

أومأ برأسه حينذاك، لاوياً شفتيه: « حسناً، حظاً سعيداً.» لقد شعرت بحرارة وتفهم في كلماته لم تشعر بهما من قبل. وبعد ذلك كان عملهما معاً اكثر انسجاماً حتى تلك الليلة، بعد حفلة خطوبة جيب.

كل التوتر الذي كان يتملكها على الدوام، هو نتيجة تلك الليلة. وبدلاً من أن تتحسن مع الوقت، إذ بها تصبح أسوأ حالاً. ونظرت من النافذة إلى الثلوج المتساقطة، لو كانت في كامل عقلها لما وافقت مطلقاً على الخروج مع رجل مثل أندريس كيرك.

***

كانت جينا تيريل تحدق، هي أيضاً، الى الثلوج المتساقطة دون أن ترى شيئاً. كانت عيناها ممتلئتين ندماً وغضباً على نفسها. إنها لم تكد تعرف النوم منذ أيام

لقد شغل نيكولاس بالها. الشوق إليه والكراهية له مازالا يعتملان في نفسها. والأكثر من كل شيء، هو الخوف مما قد تأتي به الأيام. إن نيكولاس لاينفك يلاحقها، وهي لم تعد واثقة من قدرتها على صده.

وضعت يديها على وجهها وانفجرت باكية، مضى وقت طويل قبل أن تستدير داخلة إلى الحمام حيث أمضت وقتاً طويل تغتسل، ثم ارتدت تنورة بنية ضيقة وبلوزة تبنية اللون فوقها كنزة بنفس اللون. كانت تريد أن تبدو هادئة قديرة. وهكذا ذهبت إلى العمل شاحبة الوجه داكنة العينين. وعندما دخلت إلى المكتب، كانت أعصابها في غاية التوتر.

نظرت هيزل إليها وابتسمت ضاحكة. «لقد جئت مبكرة. إذا كنت تريدين أن رؤية نيكولاس، فقد رحل.»

نظرت إليها ببلادة: «رحل؟ إلى أين؟»

«إلى ويستمنستر. جاء إلى هنا فقط ليأخذ بعض المستندات، ثم اندفع خارجاً ليتناول إفطار عمل مع اللورد تراندال. إنهما سيتحدثان بشأن القائمة التي سترسلها الحكومة إلى الصحف لتضع رقابة عليها.»

«الوقت مناسب تماماً لذلك.» قالت جينا ذلك بذهن شارد، ثم جلست خلف مكتبها، هذا هو السبب لتركه المكتب مبكراً، إذن.

كانت هيزل تضحك وهي تقول: «من الأفضل أن لا تدعي السيد كاسبيان يسمعك تقولين ذلك.»

نظرت اليها جينا بارتباك: «ماذا؟»

«إنك قلت إن الصحف يجب أن توضع عليها رقابة. ليس لدي اعتراض على ذلك أحياناً، لكنني لا أظن مالكنا يوافقك على ذلك.»

فقالت جينا بحدة:«إنه ليس مالكنا...»

«آسفة.» وألقت عليها هيزل نظرة جافة:«قد يكون معظم أفراد مجلس الإدارة بجانبه، لكنه لا يملك الأسهم التي تمكنه من السيطرة.»

كانت جينا تعلم أن تصرفها زائد عن الحد.فقد كانت هيزل ترمقها باستغراب بالغ. لكنها لم تستطع منع نفسها. لقد أغضبها جداً أن يوصف نيكولاس بأنه «مالكها». إنه سيحب سماع ذلك، بالطبع، يمكنها أن تتصور منظره لو كان هنا وسمع ما قالته هيزل.

لقد كانت غريزة الطمع وحب التملك متأصلة في نيكولاس. لكن جينا لن تصبح أبداً إحدى ممتلكاته.

«لابأس، فقد استعملت الكلمة الخطأ ولكن، مع ذلك، لن يعجبه أن يسمع انك تحبين قانون الحكومة الجديد بالرقابة على الصحف.»قالت هيزل ذلك مهدئة من أعصاب جينا التي نظرت إليها مبتسمة.

«الحق معك. إنه لن يحب ذلك. لكنني ما زلت أفكر في أننا إذا لم نتوقف عن غزو الناس، في بيوتها، وكتابة الأقاويل الرخيصة دون تمحيص ما إذا كان ذلك صحيحاً أم لا، أو نهتم بمن يؤلمه مانكتب حتى ولو كان ذلك صحيحاً، عاجلاً أم آجلاً، سيطلبون من القانون أن يمنحهم بعض الحماية من الصحافة.»

ما أن انتهت من كلامها، حتى رن جرس الهاتف، فتناولت هيزل السماعة:« آلو، هذا مكتب السيد كاسبيان.. كلا، إنه ليس هنا. »إستمعت برهة باهتمام.«فهمت. نعم، سأخبره حال عودته. إنه سيعود قبل الظهر على الأكثر.»

وضعت السماعة وهي تقول:«إنه دوجي براون من عمال الطباعة.» قالت تخبر جينا بذلك وهي تسجل ملاحظة على دفترها.ثم تابعت:«لقد كان وضع في الصباح إشعاراً على اللوحة بإنقاص عدد الموظفين، فثارت موجة غضب بين الموظفين الرجال. إنك تعرفين دوجي راسخاً كالصخرة وليس لديه مخيلة، لكن صوته كان قلقاً حقاً. أرجو أن لا نعود الى أيام شارع الصحافة فليت ستريت السيئة.»

قطبت جينا حاجبيها:«لا يمكنك لوم الرجال، ليس من السهل أن يجد المرء نفسه دون عمل في موسم العيد.»

«هذا صحيح.»

فقالت جينا:«لقد حاولت إقناعه بأن ينتظر إلى ما بعد العيد ، لكنه لم يستمع إلي، صحيح أننا بحاجة إلى تخفيض التكاليف في مكان ما، وقد كان الخبراء أخبروه بأن عمال الطباعة مازالوا فائضين عن الحاجة، ماجعل المكان مناسباً لإجراء التخفيض. وهكذا امتثل نيكولاس لنصائحهم على الفور. كنت أتوقع المشاكل.»

«مع نيكولاس كاسبيان، من الأفضل لك أن تتوقعي المشاكل على الدوام. لأن هذا ما ستحصلين عليه، عادة.» وصل نيكولاس أثناء تناولها القهوة.تحولت عيناه الرماديتان نحو جينا على الفور.

كانت تلك النظرة أشبه بوضعه يد التملك عليها، إحمر وجه جينا وحولت نظراتها بعيداً، آملة أن لاتلحظ هيزل ذلك. لكن هيزل كانت مشغولة بقراءة المكالمات التي جاءت لنيكولاس أثناء غيابه.

«كما أن دوجي براون إتصل... هنالك مشاكل تدور في قسم الطباعة.»

بدت الحدة في وجهه:«هل قال دوجي شيئاً عما يدور هناك؟»

إنبرت جينا تقول:«لم يعجب الرجال آخر إشعار عن تخفيض عدد العمال.» وكان في صوتها نبرة سخرية.

نظر إليها نيكولاس بعينين ضيقتين، ثم التفت إلى هيزل:«أجعلي دوجي يتصل بي.»

ثم سار إلى مكتبه، فأدارت هيزل رقم قسم الطباعة، وبعد لحظات سمعتا صوت نيكولاس يرتفع غاضباً. سمعته جينا يشتم بصوت غاضب جعلها تجفل.

رفعت هيزل حاجبيها لجينا دون أن تقول شيئاً، وبعد ذلك بلحظة، أقفل نيكولاس الخط وخرج إلى مكتبهما، قائلاً:« إذا إرادني أحد، فأنا في قسم الطباعة.»ثم خرج كالبرق صافقاً الباب خلفه جاعلاً الأوراق تتطاير حول المكتب.تملك جينا الإرتياح إذ حدث شيء حوّل انتباه نيكولاس عنها، بينما كانت في نفس الوقت، منزعجة لتدهور الحال في باربري وارف.

في بداية انتقالهم إلى هذا المجمع على ضفاف النهر، كانت ظنت أن مثل هذه المشاكل هي شيء من الماضي، تركوها عندما تركوا شارع فليت ستريت، وماكينات الطباعة القديمة الطراز. وكان نيكولاس يدفع للفنيين الكهربائيين الذين يديرون الماكينات الجديدة رواتب عالية جداً، وكان هناك المزيد من الرجال يعملون في أعمال الطباعة. كما كانت ظروف العمل أفضل بكثير. لم يكن على

الرجال أن يرهقوا أنفسهم في العمل، أو يظهروا قذري المظهر بالزيت وحبر الطباعة. لم يكونوا يعملون في الحرارة والرطوبة كما كانوا في فليت ستريت.

لم يحدث سوى القليل من المشاكل منذ انتقالهم إلى باربري وارف. ولكن مع الركود الاقتصادي في بريطانيا وأوروبا عموماً، إضطر نيكولاس إلى تخفيض عدد موظفيه في جميع الأقسام. لم يعجب ذلك أحداً. ولكن مع هبوط ايرادات الإعلانات والمبيع،كان هناك حاجة مستعجلة لاختصار النفقات. ورواتب الموظفين كانت البداية.

كان سبق وحصل بعض التخفيض في قسم الطباعة، إنما الآن بعد أن أصبحوا في باربري وارف منذ سنة، اصبح من الممكن تقييم عدد الرجال اللازمين لإدارة عمل الطباعة. لكنهم، مع مرور الوقت، أدركوا أن لديهم موظفين في ذلك القسم اكثر مما يستدعيه العمل.

أبدى مجلس الإدارة شيئاً من الحذر بالنسبة الى المزيد من تخفيض عدد الموظفين، خوفاً من ردة الفعل عند الرجال. لكن نيكولاس كان مصمماً على أن يدير سنتنال بأفضل كفاءة ممكنة.

عاد نيكولاس بعد ساعة وقد بدا العبوس على وجهه.

قال لجينا:«إدعي لاجتماع مجلس الإدارة في اقرب وقت ممكن.»

لم يكن في لهجته أو نظرته اليها أي شيء شخصي، كانهما غريبان. كانت مسرورة لذلك، وفي نفس الوقت شعرت وكأنه يصفعها على وجهها ثم أدار عينيه العنيفتين الى سكرتيرته:« ألغي كل مواعيدي لهذا النهار يا هيزل

واستدعي رؤساء الأقسام إلى هنا حالاً وفي أقرب وقت.»

جلستا تحدقان إليه لحظة فصرخ فيهما بخشونة: «هيا، نفذا ما أقول. إننا في حالة طوارىء. لايمكننا الإنتظار طول النهار حتى يتمكن ذكاؤكما من العمل.»

ثم صفق الباب. أخذت هيزل تصفر وهي تفتح دليل الهاتف: «لايبدو أن هذا النهار سيمر بسهولة.»

رفعت جينا سماعة الهاتف دون أن تقول شيئاً. كان أسهل كثيراً مما كانت تتوقع قبل حضورها إلى المكتب. هذا التهديد بالإضراب جاء لمصلحتها، فهو سيجعل نيكولاس ينشغل عنها، وبالتالي يجعل حياتها أقل صعوبة حالياً.

لكن افكار هيزل كانت صادقة. ذلك أن اليومين التاليين كانا حافلين بالقلق والفوضى، فقد تتابعت اجتماعات مجلس الإدارة ساعة بعد ساعة. وبين حين وآخر كانت الشطائر والأشربة تحمل الى هناك، والرجال تدخل وتخرج عابسين متجهمين.

كان المجتمعون يتحلقون واجمين حول المائدة المستطيلة المصقولة تحت صورة زكريا كاسبيان، يتجادلون مع نيكولاس مستمعين إلى نصائح مجموعة من الخبراء، محاولين إعمال عقولهم في ماعليهم أن يقوموا به.

ذهب نيكولاس وجينا وسين بيتس، المدير المنفذ، إلى حيث رأوا الفنيين الكهربائيين في قسم الطباعة، وكان هؤلاء في منتهى الغضب، طالبين رؤية قائمة بأسماء أولئك الذين سيصرفون من الخدمة ثم أصروا على أن يعلموا بالضبط لماذا لم يعد ثمة حاجة إليهم بعد عملهم مدة عام.

وكان على نيكولاس أن يناضل في سبيل قضيته بالنسبة لكل اسم ولكل رجل. ولم يحرز سوى قليل من التقدم. لم يهتم القادة بالحديث عن الكفاءة والخبرة، واستمروا في العودة إلى واقع أن العيد على الأبواب وأن هذا الأمر كان مفاجأة للرجال ودون مشاورات معهم.

قالت جينا: «ربما بإمكاننا تشكيل لجنة لمناقشة الإمكانيات، فقد نتوصل جميعاً الى أفكار جديدة. وأثناء المناقشات هذه، يمكن أن تتأخر جميع المقررات.»

نظر إليها نيكولاس بغضب عنيف: «إن لدينا رأي الخبراء في ما ينبغي القيام به. نحن لسنا بحاجة إلى أي مزيد من النقاش. اللجان مضيعة للوقت والطاقة، حسب خبرتي.»

تبادل الرجال النظرات، ثم حولوا أعينهم إلى جينا: «أظن رأي السيدة تيريل ممتاز. إذا كان لنا ممثلون في هذه اللجنة، نحن نقبل بذلك. علي أن أستشير زملائي العمال طبعاً.» قال قائدهم ذلك ببطء.

إنفض الإجتماع وخرج الرجال تاركين جينا ونيكولاس بمفردهما في غرفة الإجتماعات. فحول نيكولاس عينيه الغاضبتين إليها.

«ما الذي جعلك تقترحين تلك الفكرة الجنونية؟ لقد فرحوا بها طبعاً. فهذا يعني أن بإمكانهم تأخير قرار الصرف قدر مايستطيعون لجعل هذه اللجنة تستمر، وهذا قد يستمر سنة. أتمنى لو أقتلك، يا جينا. ما الذي جعلك تفعلين هذا؟»

تمتمت تقول: «بدت لي فكرة حسنة.»

إقترب منها ينظر في عينيها وهو يقول: «إنك فعلت هذا عن سوء نية، أليس كذلك يا جينا؟»

هزت رأسها وهي تتنفس بحدة:«كنت فقط أحاول إيقاف الإضراب. وقد نجحت، أليس كذلك؟ قد يؤخر ذلك الصرف من الخدمة، ولكن هذا يوفر أموالنا لأن الإضراب يكلفنا ملايين لانستطيع تحمل خسارتها حالياً.»

فقال ببرودة:«اكذبي على نفسك، إذا شئت، فأنت لن تخدعيني.»

«أسكت.» وتوهج وجهها احمراراً.

«جينا، ألاترين ما تفعلينه بي وبنفسك.هل هذا هو الإنتقام الذي تريدين؟ أن تخرجيني عن عقلي؟ ولكن هذا قد ينتهي بتدمير سنتنال معي. ألم يخطر هذا ببالك قط؟ لم يكن سهلاً علي التركيز على هذه المشاكل بينما نصف عقلي مشغول بك، قد أقترف يوماً ما غلطة مهلكة لأنني لا أستطيع التفكير بشيء غيرك.»

فقالت بازدراء:«إنك لم تفكر بي لحظة واحدة طوال النهار.»

«ياليت هذا كان صحيحاً، لقد كنت في ذهني في كل ثانية من النهار.»

فتح شخص الباب ثم عاد فأغلقه قائلاً: «آسفة...» وكان هذا صوت هيزل.

تحركت مبتعدة عنه تبغي الخروج:«دعني أذهب، يا نيكولاس.»

إبتسم لها بمرارة:«جينا، متى تفكرين بتعقل؟ إنك لي، تحبينني كما أحبك. ولن أدعك تذهبين أبداً. إنني حريص عليك مثل حرصي على سنتنال.»

لم تنطق جينا بكلمة وهي تركض متجهة الى الباب.

في اليوم التالي، كان هناك اجتماع آخر لمجلس الإدارة حيث وافقوا على اقتراحها بتأليف لجنة لدراسة مسألة صرف الموظفين الزائدين عن الحاجة. وقد طلب منها ممثلو العمال ترؤس اللجنة. قائلين لها:« إننا نثق بعدالتك ونزاهتك معنا. يا سيدة تيريل.» فتملكها التأثر لذلك.

قبلت هذا بهدوء، شاعرة بنظرات نيكولاس الساخرة العدائية. وعندما انفض الإجتماع تباطأ بقرب كرسيها، هامساً بصوت لايكاد يسمع:«مزيد من السلطة، يا جينا؟ لقد أصبحت تشكلين تهديداً حقيقياً لي. أصبح علي أن أراقبك.»

كادت تجيبه بحدة، لكن نيكولاس كان يبدو مرهقاً. أخذت تنظر إليه وقد تملكتها مشاعر مختلطة وهي ترى الخطوط حول عينيه وفمه، وكذلك شحوب وجهه المرهق، ثم القلق من أن يحول انتباهه إليها بعد أن فرغ من العمل. ولكن نيكولاس تلقى اتصالاً هاتفياً من لكسمبورغ يستدعونه الى هناك. وهكذا ذهب إلى المطار حالما انتهى برنامج أعماله لليومين التاليين...

أخذت تحدق في الثلج المتساقط الذي كان يغطي المدينة، ثم ارتجفت، إنه سيعود، ويعود معه صراعهما على السلطة. كانت أحياناً تشعر بمنتهى التعب من ذلك، فتتمنى لو بإمكانها الإبتعاد عن سنتنال والإرث الذي تركه لها آل تيريل، زوجها الميت والرجل العجوز السير جورج... وكل الذكريات التي جعلتها أسيرة لتجد من المستحيل ان تستسلم لعواطفها التي تشعر بها نحو نيكولاس كاسبيان.

الفصل السابع

أخذ أندريس كيرك صوفي إلى مطعم صغير يقع فوق مقهى عام في شارع المصارف. لم تكن سمعت به قط، وقد بدا لها مريباً وهي تنزل من التاكسي لتجد نفسها في ممشى ضيق خال. كانت الشوارع حولهما مظلمة ساكنة. عندما تقفل المصارف والدوائر المالية، يقفر الحي بأكمله. فقد كان سكان ذلك الحي القديم قليلي العدد.

«الصعود إلى المطعم هو من هذا السلم.» قال أندريس لها ذلك وهو يراها تتوجه نحو باب صالون المقهى، حائرة مترددة. من خلال النوافذ المعتمة كان ثمة ضوء خفيف لكنه لا يكاد يخترق الظلال المحيطة بالمقهى. وتساءلت صوفي، شاعرة بالتوتر، عما عسى أن يكون نوع الناس الذين يترددون إلى هنا. وتملكها شعور بالضيق إذ كانت تعلم الجواب سلفاً.

سألته: « هل أنت واثق من أنه مفتوح؟ إنه لا يبدو لي كذلك.»

فقال أندريس باسماً: «بل مفتوح. ونحن محظوظان إذ وجدنا مائدة ليلة الجمعة هذه. هذا المكان غالباً ما يكون الحجز فيه قبل الموعد بأشهر، خصوصا للعطلات الأسبوعية.»

سألته: « هل جئت إلى هنا من قبل؟»

«مراراً.» قال ذلك وقد بدا واضحاً معرفته بالمكان لأنه ضغط على زر جعل الضوء يغمر السلم الضيق.

صعدت صوفي السلم، وهي تسمع الضوضاء القادمة من أعلى تزداد مع صعودها. كان أندريس صادقاً في ما قال، إذ ان المكان كان مزدحماً. فتحت الباب فوجدت نفسها في غرفة معتمة مضاءة بالشموع ولهب نيران المدفأة. وقفت صوفي جامدة شاحبة الوجه. استدارت الوجوه المنعكس عليها ضوء الشموع، تحدق فيها من عند كل مائدة وقد خفتت الأصوات.

ركض نحوهما نادل. عند ذلك عادت الأصوات إلى الإرتفاع: «مساء الخير ياسيد كيرك. مائدك المعتادة، طبعاً، هل تعطيني معطفك يا سيدتي؟ وأنت يا سيد كيرك؟»

سارا نحو مائدة قامت في زاوية قريبة من المدفأة التي احتلت معظم مساحة الجدار. أحضر النادل زجاجة المياه المعدنية على الفور ووضعها على المائدة.

قال وهو يمعن النظر في قائمة الطعام: «إذا كان لي أن أقترح... السمك هنا طازج على الدوام.»

«وأنا أحب السمك. أطلب ما تشاء. إنني واثقة من أن ذوقك في الطعام يعجبني.»

نظر إليها بجفاء: «هل تدعين الرجال يختارون لك طعامك دوماً؟ إنها عادة خطرة... على كل حال، ما رأيك في سمك وحساء البندورة مع الزنجبيل والبصل؟ هل أنت مسرورة بذلك؟ هذا حسن.»

جاء النادل وسجل طلباتهما. ثم استند كيرك إلى الخلف

ومضى يتأملها سائلاً:«والآن، حدثيني عن نفسك يا صوفي.»

«أنا مملة جداً.»

«دعيني أحكم على ذلك بنفسي.»

قال ذلك بعجرفة ضايقتها، فقالت:«إنك لست محامياً فقط، بل وقاضياً أيضاً.»

فابتسم بكسل:«إبدإي بأسرتك أولاً... بوالديك.»

لم تكن تنوي أن تحدثه كثيراً عن نفسها. ولكن كيرك، بشكل ما، جعلها تتحدث. وجدت صوفي نفسها تتحدث، فتخبره عن خالها ثيو وأبيها وأمها وبقية أفراد الأسرة. إستمع إليها وكأنه كان مستمتعاً بذلك. وصل الحساء ساخناً يفوح برائحة البهارات. كان لذيذاً. قالت:«لم أذق شيئاً مثله قط من قبل. علي أن آتي إلى هذا المطعم مرة أخرى.»

قال:«أرجو أن يكون ذلك معي.» فاحمر وجهها وضحكت:«لم أكن أقصد انني أريد منك دعوة أخرى.»

جاء النادل لتغيير الأطباق، فساد صمت قصير، قالت صوفي بعده:«حدثني أنت أيضاً عن نفسك.»

رمقها بنظرة قصيرة من عينيه الداهيتين. ثم قال ساخراً من نفسه:«أنا رجل غامض وأفضل أن أبقى كذلك.»

هذا ما كانت تخاف منه. وإثباتاً لغموضه جاء شخص إلى مائدتها هذه اللحظة. رجل بالغ الضخامة، في بذلة أنيقة التفصيل انما قديمة الطراز، ثم قال بصوت أجش:«مرحباً، أندريس، لم أرك منذ زمن طويل.» رفع أندريس بصره إليه. ولاحظت صوفي أثر دهشة على وجهه. لكنه ابتسم:«حسناً، مرحبا يا هاري، متى عدت؟»

«الأسبوع الماضي، شكراً لكل ما فعلته لأجل أمي، إنها تلهج بالثناء عليك منذ عدت إلى البيت.»

«إنني معجب بأمك كثيراً. كيف حالك يا هاري؟ هل صحتك جيدة؟»

«لا مجال للشكوى.»وحول عينيه إلى صوفي يرمقها بنظرة إعجاب طويلة.

«أنا عديم الذوق. آسف لإزعاج السيدة، وأرجو أن لا أكون أفسدت عليك السهرة. كل ما كنت أريده هو كلمة مع أندريس فأنا لم أره منذ ثماني سنوات. لكنني سأذهب الآن.»

إبتسمت له:«لابأس، لاتقلق لهذا الشأن.»

إستمر يتأملها لحظة، ثم قال لأندريس:«إنها تحفة حقيقية. وجه جميل، روح جميلة. إنك لا تجد كثيرات مثلها في هذه الايام. أحب أن أغير مكاني بمكانك في أي يوم من أيام الأسبوع.»

احمر وجه صوفي ثم ضحكت. لقد كان في هذا الرجل الضخم طبيعة صبيانية.

نظر أندريس إليها، ثم إلى هاري، ثم قال بلهجة جادة تماماً:«أوافقك على ذلك. سررت برؤيتك يا هاري. إنتبه إلى نفسك. وإذا لم تستطع، إتصل بي هاتفياً»

«شكراً يا أندريس.» وانحنى هاري لصوفي:« سروري حقيقي للتعرف إليك، يا سيدتي، إستمتعي ببقية عشائك.»

قال أندريس لاوياً شفتيه:« إنه أحد زبائني النظاميين.»

«هذا ما فهمته. ولكنه ظريف.»

«عندما يكون متزناً، فهو كالحمل الوديع. لقد ربط شرطياً بعمود هاتف كان محظوظاً أن خرج بعد ثماني سنوات. فقد كان الحكم عليه إثنتي عشرة سنة.»

جاء السمك. وعندما ابتدآ يأكلان، قال أندريس:«دعينا ننسى هاري. حدثيني عن حالك مع رئيسك في العمل، غاي فوكنر أليس كذلك؟ لقد سمعت به. أي نوع هو؟ نكي؟ داهية؟»

فقالت:«الإثنان.» ثم حدثته كيف انتقل غاي من الصحافة إلى القانون وكم هو ناجح.«إنه جيد بشكل استثنائي، في عمله. إنه يعرف حقاً القانون عندما يرتبط بالصحف. وقد جعل من ذلك موضوع اختصاصه لقد جعله أطروحته.. والتي كانت دراسة جادة لقوانين الصحف.»

كان أندريس يستمع إليها وهو يأكل طعامه.

وعندما سكتت، سألها:« وماذا عن صفاته كرجل؟»

إحمر وجهها قليلاً:«إنه خشن مع مرؤوسيه. إنه لا يحب أن ينخدع كما أنه يجب أن تسير الأمور حسب رأيه.»

«ألسنا جميعاً كذلك؟ هل هو طموح؟»

«كثيراً.»لقد ابتدأت صوفي تتساءل عما إذا كان أندريس يهتم بها أم بغاي..! فقد أمضيا الآن وقتاً طويلاً في الحديث عنه. حيث أبدى من الفضول نحو غاي قدراً اكبر منه نحوها بكثير.

«من هم المحامون الذين توكلوهم إزاء قضايا القذف والتشهير؟»

فوجئت بهذا السؤال لكنها أجابت:« حسناً، هذا يعتمد...»

«يعتمد على ماذا؟»

«على من هو غير مشغول وذلك الذي يقرر غاي أنه من المحتمل أن يفوز اكثر من غيره.»

«ولكن من يستدعيه أولاً؟»

نظرت إليه صوفي بحدة:«لماذا كل هذه الأسئلة؟ لماذا تهتم بذلك إلى هذا الحد؟»

إبتسم لها بظرف:«مجرد فضول مهني هذا بالإضافة إلى أن القانون هو الوحيد الذي نزاوله، نحن الإثنين، هذا إلى أن أكتشف شيئاً آخر.»

ضحكت صوفي بينما ابتسم لها عبر المائدة، وهو يقول:«لو كنت أريد أن أعلم، فما علي الا أن أعود إلى السجلات، كما تعلمين دون الحاجة إلى ان استخرج هذه المعلومات منك، إذا كان الكلام عن مهنتك يزعجك، فلنتحدث عن شيء آخر.»

«كلا، هذا لا يزعجني .»قالت ذلك وقد رأت أن كلامه صحيح. فقد كان معروفاً من هم المحامون الذين تلجأ إليهم سنتنال لمواجهة قضايا التشهير. وهكذا ذكرت له عدة أسماء، فأومأ هو بأنه يعرفهم وقال ما يعرفه عن تصرفاتهم في المحكمة، فهو يمزح بلطف عند ذكر هذا، ما جعل صوفي تضحك .وعندما تقدم بهما الوقت، إزداد ارتياحها واستمتعت بصحبته.

ومن وقت لآخر كانت ترى عيني أندريس تتوقفان عند شخص ما في القاعة، فيبتسم، ويلوح بيده، ويومىء لعدد من الموائد استجابة للتحيات. كان واضحاً أنه معروف جيداً هنا، ولم تستطع منع نفسها من التفكير في ما إذا كان

كل هؤلاء الناس مجرمين، مثل هاري. البعض منهم بدا وكأنهم كذلك، وآخرون بدوا محترمين جداً.

«هذا المطعم غير عادي على الإطلاق.»

قالت ذلك وهي تنظر حولها إلى الجدران المبطنة بخشب السنديان. السقف المزخرف بالجص. النباتات الطبيعية الخضراء والأزهار في إصص منتشرة في كل إنحائه. الستائر المخملية الحمراء على النوافذ والتي تصل الى الأرض، تحفظ حرارة نيران المدفأة في الغرفة.

في طريق العودة الى شقتها في سيارة التاكسي، كادت تنام على كتف كيرك، واستيقظت مجفلة عندما ارتطمت السيارة بشيء ما في الطريق.

«آسفة...»

عندما وقفت بهما التاكسي امام شقتها. ساعدها على النزول، فتوتر جسمها خوفاً من أن يصر على الدخول معها، لكنه لم يفعل سوى أن صافحها قائلاً: «شكراً لك لقدومك معي الليلة، أرجو أن تكوني استمتعت بمقدار النصف مما استمتعت به أنا.»

فقالت بشعور حقيقي: «لقد كانت سهرة جميلة.»

«هل يمكنني رؤيتك مرة أخرى إذن؟»

ضحكت بشيء من الخجل، واحمر وجهها ثم قالت متلعثمة: «حسناً... نعم... أظن... أظن ذلك...»

في اليوم التالي، كانت تتسوق في سوبر ماركت المنطقة عندما صادفت توم بيرتي يقوم بتسوقه المعتاد في العطلة الأسبوعية. كان يرتدي مايشبه الملابس العسكرية سترة مموهة ذات جيوب ضخمة من الأمام

وبنطلوناً فضفاضاً ذا لون كاكي، وقميصاً مقفلاً فوقه كنزة كاكية اللون.

قالت مازحة: «هل أنت ذاهب إلى الحرب أم إلى الأدغال؟»

ضحك وقال: « كنت ارى سعر مسحوق الصابون هذا.»

قالت وهي تضع كيس برش صابون في سلتها: «عليك أن ترى إن كانت صالحة للبيئة، أيضاً.»

أومأ قائلاً بجد: «نعم، لقد فعلت ذلك فلا تقلقي» وأخذ ينظر إلى مشترياتها. «هل تحبين أثمار الكيوي؟ دوما يشعرني وكأنني آكل فأرة. إن قشرها ذا الزغب لايشابه قشور الفاكهة الأخرى أبداً.»

«قشرها إذن.»

«يالك من عقلانية. كل النساء كذلك. وهذا هو سبب خوفي منهن.»

فقالت ساخرة: «آه، هل تخاف من النساء؟»

أجاب وما زال ينظر في سلتها: «كلنا كذلك، إنك تأكلين كثيراً من الفاكهة والسلطة. وكذلك أنا، هذا يوفر الطهي وغسل الأواني، أليس كذلك؟ كما أنه يفيد صحياً. ما اكثر ما اشتريه من مواد التنظيف . أنا اكره أعمال المنزل، لا أظنك تحبين القدوم إلى منزلي وتنظيفه، يوماً ما. سأشتري لك عشاء بدلاً من ذلك.»

«غير ممكن. إنني لا أنظف شقتي إلا لأن أمي زرعت في ضميري شعوراً بالذنب إذا أنا لم أفعل.» قالت ذلك ضاحكة.

فقال بسرعة: «تناولي معي العشاء على كل حال.»

نظرت إليه مقلبة شفتيها كانت تشعر نحو توم بالمودة،

لكنها كانت تعلم أنه لا يناسبها اكثر من أندريس كيرك. وما كان لها أن تخرج مع اي منهما .

قال ضارعاً:«أرجوك.» ولم تستطع الرفض. كان يبدو مثيراً للشفقة، مرتدياً ملابس تظهره كجندي، ويشتري الخس والبندورة لأنه لا يحسن الطهي ويكره غسل الأواني. كان توم رجلاً ضخماً يبلغ اكثر من ست أقدام طولاً من العضلات القوية، ومع ذلك فهو لم ينضج بعد. وجعلتها عاطفة الأمومة تومىء إيجاباً.

أشرق جهه:«هذا عظيم أين تريدين الذهاب؟»

«سأطهي أنا عشاءنا، طعاماً هنغارياً هل تحب الغولاش؟»

«لا أدري فأنا لم أذقه قط، لكنني سأذوق كل شيء مرة.»

«لا بأس إذن، تعال إلى شقتي الساعة السابعة والنصف إنك تعرف عنواني.»

ربما لم يكن ثمة مستقبل لأية علاقة معه او مع أندريس كيرك، وذلك سيبعد ذهنها عن غاي. أخذت تفكر في ذلك وهي تطهي «الغولاش» عصر ذلك اليوم، وإذا بها تتوقف عن تقطيع اللحم وقد تملكتها صدمة... غاي؟ لماذا خطر اسمه في بالها بدلاً من إسم جيب؟ إنها تحب جيب وتريد أن تنساه... وليس غاي فوكنر.

حدثت نفسها بأنها زلة لسان. إنها لم تكن تعني لفظ اسم غاي بل اسم جيب. اخذت تقلب اللحم في القدر وقد احمر وجهها، كانت الرائحة لذيذة، لكن ذهنها لم يكن مركزاً على ما تقوم به. كان مضطرباً لأنها كانت تعلم أنها تكذب على نفسها. فهي لم تفكر في جيب ذلك الأسبوع إلا نادراً وعندما

كانت تفكر فيه لم يكن يؤلمها ذلك كما كان الحال من قبل.

أخرجت اللحم ووضعته على طبق حار وغطته لتبقيه ساخناً ثم أخذت تقطع الخضر ألقت بها في سمن حار وعندما تغير اللون قليلاً، أعادت اللحم إلى القدر وأضافت البهارات المتنوعة إليه، والثوم وبذور الكراويا.

عندما أخذ الطعام ينضج ببطء، جلست أمام الطاولة ووضعت امامها فنجان قهوة وأخذت تحدق في الفراغ، مواجهة بعض الحقائق غير المرغوب فيها. لقد بهتت ذكرى جيب في ذهنها وذلك منذ حفلة خطوبته، وعليها ان تعترف لنفسها بأن غاي بشكل ما، أصبح مهماً بالنسبة إليها دون أن تعرف السبب.

لكن صوتاً في داخلها هتف بها بأنها تعرف السبب. عندما أعادها غاي إلى شقتها تلك الليلة وأخذ يواسيها بينما التعاسة تفتك بنفسها لأجل جيب، سبب ذلك انتقالاً عنيفاً في مشاعرها، إنتقالاً من رجل إلى آخر، لقد فقدت جيب، ولكن غاي كان موجوداً مكانه... كان الأمر بهذه البساطة. قفزت واقفة وهي تهز رأسها بغضب، كلا! ذلك يجعلها مجنونة، كما يجعل مشاعرها تبدو غير حقيقية .

وعاد ذلك الصوت الداخلي يهتف بها بأنها منذ تلك الليلة، تحول حبها من جيب إلى غاي.

فكرت باحتجاج:ولكنني لم اكن أميل إلى غاي، على الأقل.

التهب وجهها من هذه الافكار وتشاغلت بترتيب شقتها وأبقت نفسها مشغولة بأعمال المنزل إلى أن حان الوقت لكي تغتسل وتغير ملابسها قبل وصول توم.

إنتهت من ذلك مبكراً، فشغلت نفسها بترتيب المائدة الصغيرة وإنارة الشموع فوقها. جهزتها لشخصين ووضعت اكواب بلورية وأزهاراً في الوسط ثم أطفأت النور وأدارت تسجيلاً بصوت فرانك سيناترا. ثم ابتعدت تشمل المشهد بنظراتها، راضية. بدا كل شيء رائعاً.

وإذا بجرس الباب يقرع، فنظرت في ساعتها بدهشة، جاء توم مبكراً! نظرت إلى صورتها في المرآة تتفحصها بسرعة قبل أن تفتح الباب، كانت الشقة دافئة جداً ما جعلها ترتدي ثوباً حريرياً قرمزياً بسيط التفصيل، ويغطي أعلى ذراعيها «كشاكش» صغيرة بينما وضعت في شعرها وردة حريرية قرمزية اللون تتلاءم مع الثوب، أما حذاؤها فكان فضياً عالي الكعب.

فتحت الباب وهي تبتسم، لكن الإبتسامة بهتت وهي ترى وجه غاي أمامها. أخذ ينظر إليها من فوق الى تحت ببطء، وقد بدت الحدة في عينيه.

«هل تنتظرين احداً؟»

«نعم.»

نظر إلى ما وراءها في الشقة، ورأى المائدة المجهزة لشخصين وعليها الأزهار والشموع المضاءة.

فقال من بين أسنانه المطبقة: «لأجل من هذا؟ لأجل كيرك؟»

«بل توم بيرتي، في الواقع.» قالت ذلك بصوت حاولت أن تجعله هادئاً، ولكن أعصابها كانت تنتفض بشكل جنوني. عادت عينا غاي تنظران إليها وقد احمرتا غضباً لكنها رأت في وجهه اكثر من مجرد الغضب.

كان ثمة قوة ورغبة في الإيلام في خطوط فمه، لقد

تغير شيء ما في غاي أو لعله اعتاد أن يخفي في نفسه شيئاً من طبيعته قد ظهر الآن الى العلن.

قال بحدة: «هل تواعدينهما، هما الإثنين؟ كم رجلاً آخر لديك ؟ ما الذي تحاولين القيام به؟ نسيان جيب كولينغوود وذلك بالخروج مع كل رجل تتعرفين إليه؟ هذا لا يفيد، ياصوفي، إنك ستوقعين نفسك في المشاكل وتكتسبين سمعة تندمين عليها عندما يعود إليك عقلك. جيب كولينفوود لا يستحق كل ذلك. أين كرامتك؟ لماذا لا تستطيعين نسيان الرجل ذاك؟»

رفعت رأسها ونظرت إليه بتمرد، وقد التهب وجهها احمرارا: «أتمنى أن أعلم ما الذي أعطاك الحق في أن تلقي علي محاضرتك؟ بصراحة، الإشمئزاز يملأني من هذا ومن تدخلك في شؤوني الخاصة، أخبرني فقط بسبب قدومك إلى هنا، ثم اذهب.»

ألقى عليها نظرة حارقة وقد أطبق أسنانه بعنف، وبعد لحظة صمت، قال بصوت خشن: «جئت لأخبرك بأن نيكولاس كاسبيان طلب مني السفر إلى لكسمبورغ حالاً، إنني سأغيب عدة أيام ، ألغي كل مواعيدي إلى حين إشعار آخر، وسأخبرك متى أعود.»

فقالت له ببرودة: «كان بإمكانك ترك خبر بذلك في جهاز الإجابة في هاتف المكتب.»

«يا ليتني فعلت ذلك.»

قال هذا واستدار على عقبيه ليخرج ،فإذا به يواجه رجلاً وصل لتوه. شتم بصوت منخفض، ثم تمتم شيئاً غير مفهوم ثم خرج.

نظرت صوفي إلى خالها ثيو بارتباك وقد احمر وجهها:«آسفة لهذا... فقد كان سيء المزاج...»

فتمتم خالها مفكراً:« هذا ما بدا لي، بدا شابا بالغ الغضب ما الذي فعلته، ما جعله يغضب الى هذا الحد؟»

«لم أفعل له شيئاً...» وعادت صوفي تدخل شقتها فدخل خالها خلفها مغلقاً الباب وراءه.

وقف يحدق في المشهد الذي أمامه، الضوء الخافت، الشموع المضاءة على المائدة المزينة بالأزهار، الموسيقى البديعة الناعمة التي تملأ الجو.

«هل كان كل هذا لأجله؟»

كلا، إنني أنتظر شخصاً آخر سيصل في أية لحظة الآن.»

فقال خالها مبهوراً:«إنه رجل، كما هو واضح. ومن كان الرجل الآخر؟ عاشق خائب الأمل؟»

أشاحت بوجهها عنه وهي تقول كارهة:«كلا، إنه غاي فوكنر، رئيسي في العمل.»

«أحقاً؟ إنه رجل هام.»

غاص قلب صوفي، آخر ماكانت تريد هو أن يجد خالها أن غاي رجل هام. إن هذا يعني سيلاً لاينتهي من الأسئلة.

جلس إلى المائدة دون دعوة، وقال: «هل يمكنني تناول كوباً من هذا العصير؟»

ألقت عليه نظرة هي مزيج من الحنان وفروغ الصبر:«طبعاً، يمكنك ذلك. أسكب لنفسك.»

فعل ثيو ذلك، ثم رفع الكوب إلى شفتيه: «إنه لذيذ الطعم.»

أخذت تنظر إليه متأملة. كان رجلاً كبير الجسم، ذا بدانة غير عادية وشعر أبيض يحيط بصلعة. وجهه الأحمر يبدو

بريئاً كوجه طفل، ولكن عينيه الداكنتين كانتا ساخرتين تبطنان شيئا مأساوياً.

لقد عرف الخال ثيو الخوف والخسارة والألم أثناء سنوات حياته الحافلة ولم يتخلص من تأثيرها بعد رغم حياته الآمنة هنا في لندن.

وكانت صوفي تكن له حباً بالغاً، وتعلم أنه يحبها كذلك.

قال بعفوية:«إذن، فرئيسك يحبك. ماهو شعورك نحوه؟»

قالت متلعثمة وقد تملكها غضب عنيف:«إنه لا.... أنا لم أقل... وأنا لا....إنه رئيسي وهذا كل شيء. فلا تبدأ بتصور أشياء غير صحيحة. ثم ماذا تفعل هنا، على كل حال؟ هل كنت تريد شيئاً أم انه الفضول فقط لأنك رأيت رجلاً غريباً يأتي الى شقتي؟»

هب الخال ثيو واقفاً وهو يقول معنفاً: «هذه إهانة لي. فأنا لست فضولياً على الإطلاق.»

أطلقت صوفي ضحكة جوفاء، بينما استمر هو يقول:«ماحدث هو أنني جئت لأخبرك أن الأسرة قررت قضاء العيد هذه السنة عندنا هنا.»

شهقت صوفي بذعر:«في شقتي؟»

«كلا بالطبع، بل فوق، في بيتي. إن المستأجرين في الطابق العلوي سيتركون الشقة هذا الأسبوع. وأنا لم أؤجره بعد. وهكذا سأتركه فارغاً حتى العيد لكي تقيم فيه الأسرة.»

فقالت صوفي عابسة:«يالسوء الحظ.»

نظر إليها موبخاً:«إنك إبنة عاقة جداً... لقد أفسدتك أمك بالدلال. وكذلك أفسدك أبوك، وأنا أيضاً. لم تنالي ما يكفي من الضرب. سأتوقع الكثير من العون منك....»

فقاطعته:«هذا ماكنت أخاف منه.»

إستمر يقول:«إن إعداد المكان لهم يستغرق اياماً. أخبرت أمك بأنك ستطهين أوزة العيد هذه السنة...»

«أنا، أنا لم أطبخ أوزة في حياتي. إنني لا أحسن ذلك.»

«أمك ستعلمك كيف تطهينها، وأرجو أن تحدثيها عن رئيسك الذي لا يحبك ولكنه يبدو لي أنه يحبك، على الفتيات أن يخبرن أمهاتهن بكل شيء لهذا وجدت الأمهات.»

قرع جرس الباب فتنهدت صوفي بارتياح. «هوذا ضيفي. وقبل أن تسأل، هو لا يحبني، وأنا لا أحبه .انه مجرد صديق دعوته للعشاء، إتفقنا؟»

فقال وهو يتبعها الى الباب: «أنا لا أفهم جيلكم، يالها من طريقة للحياة .عشاء على ضوء الشموع مع رجل هو مجرد صديق. يا لها من مضيعة، كان عليك أن تدعي رئيسك ذاك إلى العشاء...»

نظرت إليه صوفي بحدة:«كفى حديثاً عن ذلك.» ثم فتحت الباب الخارجي وهي تبتسم مرحبة بتوم:«مرحباً يا توم. تفضل.» كان ثيو يتسكع بالقرب منهما، ينتظر إجراء التعارف، بينما نظر إليه توم بأدب وفضول وهكذا لم يكن أمامها خيار.

«هذاخالي ثيو، هذا توم بيرتي، مراسل باب الجريمة في الصحيفة.»

فقال ثيو وهو يصافحه:«الجريمة؟ هه... إنها وظيفة مثيرة حقاً.»

فمط توم ملامحه:«مثيرة اكثر مما يجب، أحياناً.»

فقال ثيو مسرور معدا نفسه للجلوس مرة أخرى ولمدة

ساعات:«أحقاً؟ لماذا؟» أمسكت صوفي بذراعه قبل أن يجيبه توم:«كنت خارجاً لتوك، هل نسيت، سأراك غداً.»

خرج ثيو كارهاً، بينما ضحك توم لها.«إنه عجوز ظريف، أليس كذلك؟ هل هو هنغاري؟ ألم تقولي إنه مؤرخ؟ يبدو عليه الذكاء.»

فقالت صوفي عابسة:«إنه كذلك فعلاً.» كان خالها ثيو أذكى مما يجب، وهذه هي المشكلة. تمنت لو أنه لم ينزل في الوقت الذي كان فيه غاي موجوداً، لم تكن تريده أن يهتم بحياتها الخاصة، قد يخبر أمها بشكوكه تلك، عندذلك سيجري تحقيقاً معها عن العرس وشهر العسل بينما لم تكن صوفي لتحتمل اكثر من ذلك.

***

تلقت جينا تيريل مكالمة هاتفية ذلك السبت من ديرموت غاسكل، يدعوها إلى تناول العشاء معه، قائلاً:«إن لدي ما أعرضه عليك يا جينا.» فتملكها إحساس بالحذر.

«أنا أسر دوماً برؤيتك لكنني لا أريد التورط بإحدى مؤامراتك ضد شركة كاسبيان يا ديرموت.»

فقال ساخراً:«هل أصبح مالكاً لك كلياً الآن؟»

تملكها الغضب:«كلا، هذا غير صحيح لكنني اكره المؤامرات، إنني أحاربه، عندما يناسبني الوقت، لكنني أفعل ذلك بشكل علني.»

«حسناً، يسرني أن أعلم أنك مستعدة لمواجهته، لابد أنك لاحظت أن عدداً من المدراء في مجلس الإدارة قد ابتدأ صبرهم يفرغ إزاء الطريقة التي يدير بها الصحيفة وهذه المشكلة الجديدة، مثلاً، مع عمال الطباعة... عولجت بشكل

سيء تماماً. كان بإمكانه تجنب المواجهة ويبدو أنه سيتمتع بمناطحة الرجال. لقد توقف إضراب خطير بصعوبة، ولكن ليس بجهود كاسبيان بل بجهودك أنت، يا جينا .هل لي أن أبدي إعجابي الكبير بك لحسن معالجتك للموضوع؟ أظنك ابتدأت تصبحين قوة حقيقية في مجلس الإدارة، ومركز ولاء العمال لو كان السير جورج حياً لكان فخره بك كبيراً.»

أجفلت جينا وتملكها التأثر:«شكراً، يا ديرموت هذا لطف بالغ منك.»

«أنا أعني كل كلمة قلتها ولست انا فقط الذي أعجب بالطريقة التي عالجت بها موضوع عمال الطباعة. إسمعي ياجينا..لقد اجتمع عدد منا وتحدثنا عن تحفظنا، وقلة ثقتنا في نيكولاس كاسبيان وحكمه على الأمور، قد يكون ناجحاً جداً في أوروبا، ولكن يبدو أنه لا يفهم الوضع في بريطانيا على الإطلاق، وأنا واثق من أنك توافقينني على هذا.على كل حال، في الحديث عن إمكان تغيير الإدارة جاء اسمك في المقدمة... وبعضهم يرى أنك الخيار الوحيد بصفتك من أسرة تيريل...»

فقاطعته وقد أدار رأسها قليلاً ما يقوله: «بالزواج فقط.»

«نعم، ولكن الرجل العجوز كان يدربك لتستلمي منه بعد رحيله، كلنا نعلم هذا، والسيد جورج كان يحسن الحكم على نوعية الأشخاص. فإذا كان يراك أهلا لإدارة سنتنال، لابد أنه على صواب، وإذا لم تريدي الإشتراك معنا، فنحن نحترم شعورك، وحالياً لن أطلب منك الإلتحاق بنا، ولكن... إذا عدنا إليك، فيما بعد، وطلبنا منك أن تكوني رئيسة مجلس الإدارة... فهل تقبلين؟»

«لن يوافق نيكولاس كاسبيان على هذا أبداً!»

«لن نكون بحاجة إلى موافقته إذا تعاونت أنت مع فيليب سليد...»

«فيليب! هل هو مشترك في هذا الأمر؟ لكنه في أميركا ولن يعود إلى لندن قبل أسبوع.»

قال السيد ديرموت هازلاً:«حسناً، يا عزيزتي. هناك اختراع عصري يدعى الهاتف...»

«هل تحدثت هاتفياً مع فيليب فوافق على أن يساندك ضد نيكولاس؟»

«نعم... وعدد كبير من المدراء وافقوني على ذلك، ويسرني أن أقول هذا .إنك، مع فيليب وبعض حملة الأسهم، عندما تعارضون كل قرار يتخذه نيكولاس، يساندكم في ذلك بقية أعضاء مجلس الإدارة، سينهزم اكثر الأحيان، ما يضطره الى الإستقالة. ذلك أن وضعه سيكون غير منيع، إنه لن يحصل على الأكثرية من أصوات حملة الأسهم، وبدون مساندة من مجلس الإدارة لن يستطيع إدارة الصحيفة. عليك أن تستلميها أنت منه.»

شحب وجه جينا، شاعرة بصدمة غريبة، كان هذا ما تريده... فلماذا هذا الشعور الغريب ينتابها الآن؟

«ولكن... أنا استلمها؟ أنا لا أعرف كيف أديرها، يا ديرموت.»

«بل تعرفين طبعاً، يا جينا، أين ثباتك؟لقد وقفت في وجهه في غرفة الاجتماعات في ذلك اليوم وانتصرت، وهي ليست المرة الأولى، فأنت تكافحينه طوال العام، وأنت دوماً في تحسن مستمر. أظنك جاهزة لتسلم السلطة.»

«ولكن الجدل معه، في غرفة الإجتماعات هو شيء، وإدارة الصحيفة بأجمعها بدونه، هو شيء آخر، إنه صحافي ذو خبرة عالية. أما أنا فما زال أمامي الكثير لأتعلمه .هذه الفكرة تخيفني.»

قهقه السير ديرموت ضاحكاً:«يا للفتاة الغبية. كلنا سنساعدك، فلا تقلقي. كل ما اريده حالياً هو أن نعلم ان كان بإمكاننا الإعتماد عليك وعلى صوت أسهمك، يا جينا. جينا، هذا ما كنت تريدينه على الدوام. الإنتقام منه لما فعله بالسير جورج. لا أظنك تراخيت بالنسبة لهذا، أليس كذلك؟إنك لم تنسي كيف مات الرجل العجوز؟»

أجابت وقد شحب وجهها وأزاحت جانباً كل شكوكها الشخصية:«كلا. أنا لم أنس شيئاً.»

«إذن، فأنت معنا.»

فتنهدت:«أظن ذلك.»

«آه، يا للفتاة الطيبة، دعي الأمر لي، وسأتصل بك عندما يصبح كل شيء جاهزاً.»

تساءلت عما يعني بهذا. وقطت جبينها. ثم سألته:«كم عدد المديرين المشتركين في هذا الأمر، بالضبط؟»

تردد وكأنه كره أن يخبرها:«حسناً، إن لدينا الأغلبية تقريباً.إسمعي يا جينا، علي أن أذهب الآن. سأتحدث إليك فيما بعد. أنا واثق من انني لست بحاجة الى ان أوصيك بأن لا تذكري هذا الحديث بيننا لأي إنسان أليس كذلك؟»

وضعت سماعة الهاتف مكانها وأخذت تحدق في الفراغ، بوجه شاحب جامد. كان عليها أن تشعر بالفوز والإثارة لأن كاسبيان سيواجه أخيراً التحدي، سيفقد سيطرته على

سنتنال لكنها، بدلاً من ذلك تشعر بالكآبة والإضطراب. عندما مات السير جورج كان كل شيء يبدو واضحاً.الوفاء والخيانة. لكنها الآن لم تعد تشعر بمثل هذه الثقة.كل شيء تغير في ذهنها والأمور لم تعد كما كانت تظن .

صباح يوم الاثنين، كانت تنتظرها في المكتب صدمة أخرى. عندما دخلت، كانت هيزل تلصق مغلفاً، فرفعت بصرها وقد بدت على وجهها ابتسامة أسى ماكرة. بادلتها جينا الإبتسامة وهي تخلع معطفها.

«يبدو عليك المكر، ما الذي تنوينه؟»

إبتسمت هيزل وهي تدخل مكتب نيكولاس بالمغلف. أخذت جينا تبحث عن رسائل لها واقفة عند مكتب هيزل.

«هل أمضيت عطلة أسبوعية حسنة؟»سألتها هيزل ذلك وهي تعود.

فهزت جينا كتفيها:«عطلة هادئة، على كل حال.» الحقيقة أن عطلتها، في غياب نيكولاس، كانت مملة للغاية، تابعت تقول لهيزل:«إنك ذهبت الى«أترخت» في هولندا لتري زوجك أليس كذلك، كيف حاله؟»

«فوق السحاب. كان لديه خبر لي.»

دبت الإثارة على وجهها، فنظرت إليها جينا بفضول:«خبر سيىء أم جيد؟»

«إنه يعتمد على نظرتك إليه، أما بالنسبة إلينا فهو جيد، لقد أرسل بييت استقالته إلى كاسبيان كما اشترى منزلاً بجميع ملحقاته، إننا سننشىء عملاً لأنفسنا، وسنبدأ بعد ثلاثة أشهر.»

كانت جينا تعلم أن هذا سيحدث يوماً ما. منذ أشهر

وهيزل وبييت يتحدثان عن إنشاء شركة خاصة بهما. ولكن ذلك مازال يشكل صدمة لها ولم يكن من السهل أن تبتسم وتظهر البهجة. لكنها حاولت ذلك على كل حال. فقد كانت هيزل صديقتها.

«هذا رائع، إنه ما كنتما تسعيان إليه منذ زمن طويل. إنني مسرورة جداً لتحقق أملكما أخيراً. أين ستستقران؟»

إبتسمت هيزل بسعادة:«في هولندا، طبعاً. بييت يرى أن ذلك هو الأنسب، بإمكانك أن تذهبي من مطار «شيغول» إلى أي مكان في العالم كما أن طريق السيارات جيد أيضاً.»

فقالت جينا مازحة:«وطبعا، لأن هولندا هي وطنه.»

فأومأت هيزل باسمة:«نعم. إنه يريد أن يستقر هناك، يمكنك أن تفهمي السبب. لقد كان يعيش في أوروبا على الدوام، كل بضعة أشهر في بلد منها. وهو يقول إنه يريد الإستقرار في حياته وذلك في وطنه.»

كانت جينا تستمع إليها مقطبة الجبين، بعد أن أدركت ما يعني ذلك.

«إذن، ستتركاننا؟»

«لقد وضعت لتوي استقالتي على مكتب نيكولاس.»

تأوهت جينا:«آه، يا هيزل سأفتقدك.»

«وأنا أيضاً يا جينا.» ثم عانقتها. شعرت جينا برغبة في البكاء وهي تقول:«لقد اشتغلنا مع بعضنا البعض مدة سنوات ولن يكون سهلاً علي العمل مع فتاة أخرى.»

«ليس ثمة من هو دائم ولا يمكن الإستغناء عنه، رغم أنني أحب أن أظن ذلك عن نفسي.» ضحكت وهي تتابع:

إن علي أن أمضي شهراً بعد الإستقالة حسب العقد

الذي بيننا ولكن إذا لم يجدوا بديلاً لي يمكنني ان أمضي أسبوعاً او أسبوعين زيادة.»

«شكراً. سيكون عليك أن تساعديني في اختيار بديل لك. لن يكون سهلاً العثور على مثيلة لك.»

دمعت عينا المرأتين، ثم سألت هيزل:«هل ستأتون بسكرتيرة من داخل الصحيفة أم ستعلنون في الصحف؟»

«هذا يعود إلى نيكولاس طبعاً. ولكن سيكون من الأسهل إذا كنت أنا أعرفها.»

قرع الباب ودخلت صوفي واطسن حاملة مستندات من قسم القانون. وهي تسأل بصوتها الهادىء الواضح:«عندما يرى السيد كاسبيان هذه، هل لكما أن تخبرانا بذلك لكي نستعيدها حالاً؟»

قالت ذلك ثم تحولت تبغي الإنصراف. أومأت جينا برأسها شاردة الذهن، وما زالت تفكر في ما كانت تتحدث عنه مع هيزل .ثم مالبثت صوفي أن خرجت. حدقت هيزل في أثرها وقد ضاقت عيناها:«لقد خطرت لي فكرة جيدة.»

«وما هي؟»

فقالت هيزل:«صوفي.»

«ما بالها صوفي؟» سألتها جينا ذلك بعدم فهم، لكن عينيها ما لبثتا أن اتسعتا: «صوفي؟»

فأومأت هيزل:«نعم صوفي، ولماذا لا؟ إنها ذات كفاءة وتعرف كيف تدير مكتباً ويمكنها التحدث بعدة لغات بطلاقة. كما أنها أنيقة دائماً. اظنها الخيار الواضح.»

فقالت جينا:«لم تخطر ببالي قط، لكن الحق معك .إنها ستكون سكرتيرة ممتازة.»

قالت جينا مازحة:«ماذا؟ انها ليست ممتازة، أنا الممتازة ولكن بما أنني سأرحل صوفي هي البديل الأفضل.»

فقالت جينا:«هذا إذا قبلت بالعمل هنا أظنها تفضل القسم القانوني.»

«ربما كما تقولين ولكنها ستحب العمل هنا اكثر. فهذا المكتب هو أهم المكاتب في هذا المبنى وهي سترغب فيه طبعاً. أولاً، سيكون أجرها اكبر بكثير، ثانياً مركزها كذلك أعلى كما أن العمل متنوع هنا.إنها أهم وظيفة في الصحيفة.»

قالت جينا ضاحكة:«الحق معك ،كالعادة دوماً. ولكن ماذا سيقول غاي فوكنر بالنسبة لخسارته سكرتيرته بالغة الكفاءة، تلك؟»

الفصل الثامن

عاد نيكولاس وغاي فوكنر من لكسمبورغ ليلة الثلاثاء. وصباح الأربعاء كان، حين وصلت جينا، خلف مكتبه، عندما دخلت المكتب نظرت هيزل إليها عابسة وهي تشير بعينيها نحو بابه.

قالت جينا بهدوء تام وهي تخلع معطفها:«أعلم أنه عاد. فقد سمعته يفتح باب شقته الليلة الماضية. مارأيه في استقالتك ؟»

«غاضب جداً.»

«كنت اعلم انه سيغضب.»

«لقد رآه بييت في لكسمبورغ أمس، فقدم إليه استقالته شخصياً، فقد كان يشعر أن من حق نيكولاس عليه أن يقدم استقالته له وجهاً لوجه. يبدو أن نيكولاس ظن أن بإمكانه أن يقنع بييت بالعدول عن الإستقالة ولكن بييت كان قرر أمره نهائياً. على كل حال، يريد نيكولاس أن يراك حال وصولك. كوني حذرة،ياجينا، فإنه في مزاج سيىء تماماً هذا الصباح.»

«حسناً، هذا ليس غريباً عنه.»

ضحكت هيزل بصوت خافت:«لقد كان مزاجه سيئاً فعلاً طوال العام، أليس كذلك؟ لا أدري لماذا؟» وبدت في عينيها نظرة ماكرة.

لم تهتم جينا بما تتضمنه جملتها الأخيرة تلك من تعريض

بها، وأخذت تنظر إلى نفسها في المرآة متألمة وهي تتمتم:«إنه يوم بارد، أليس كذلك؟ وليس ثمة أثر للثلج حتى الآن كذلك، يبدو أن هذا الشتاء هو أسوأ ما أتذكر. فالثلج منذ أسابيع يتساقط ثم ينقطع، وهكذا.»

كانت بشرتها محمرة من الريح القارسة في الشارع وعيناها الخضراوان تتألقان. سوت من خصلات شعرها البني الأحمر، وكذلك من بذلتها البنية، والتي كانت تلائم بهذا اللون، لون شعرها وعينيها. حسناً، هناك شيء جعل وجهها يتورد وعينيها تتألقان، ربما هو التفكير في قرب رؤيتها لنيكولاس، منذ ذلك اليوم الذي دخلت فيه هيزل قاعة الإجتماعات ووجدت جينا ونيكولاس معاً في وقفة حميمة، تملكها الفضول بشأنهما. وصارت تلاحقها بنظراتها كلما كان هو موجوداً، لكنها لم تأت على ذكر شيء، ماجعل جينا تشعر بالإرتياح.

أسرعت جينا نحو مكتبه تنقر على بابه، فأجاب بحدة:«أدخل.»فدخلت وقد توترت شفتاها. كان يجلس خلف مكتبه وقد خلع سترته الرصاصية المخططة، وعلقها على مسند كرسيه، كما حل ربطة عنقه وفتح ياقة قميصه، وأخذ يتحدث في الهاتف باللغة الفرنسية. إلتفت إليها أشار إليها بالجلوس.

جلست محاولة أن تبدو هادئة قدر إمكانها، وهي تضع ساقاً على ساق، وقد لاحظت عيني نيكولاس المتململتين. كان صوته سريعاً عديم الصبر، مضى يتحدث بفرنسيته الموجزة، لكنه كان طوال الوقت يحدق إلى ساقيها.

«كلا، لا أقبل بهذا كلا، هذا لا ينفع يا روسينول، لاتحاول

أن تقنعني بالوعود... أريد أن ترسل إلي ما طلبت شراءه، في الحال، وإلا فالمعاملة ستتوقف. لقد كنت أعطيتني وقتاً محدداً، فعليك الإلتزام به، وإلا عليك احتمال النتائج. كلا، هذا عذر فقط، يمكنك طبعاً أن ترسله في الوقت المحدد، هيا، تحرك ولا تسترسل في الجدال معي.» وبعد فترة صمت عاد يقول بحدة:«حسناً جداً، أمامك يومان إذن، وبعد ذلك ينتهي كل شيء.»

وضع السماعة بعنف لابد أنه سبب الصمم في إذن المتكلم الخط الآخر. أجفلت جينا وهو يميل إلى الخلف في كرسيه الدوار، وقد استرخى جسمه الرشيق وشبك يديه خلف رأسه ومضى يتأملها .

قالت بسرعة:«قالت هيزل إنك تريدني.»

رفع حاجبيه بحركة ذات معنى.«آه لقد لاحظت ذلك إذن، أليس كذلك؟»

فقالت غاضبة:«إذا كنت ستتلاعب بالألفاظ، فأنا خارجة.»

حدق إليها ساخراً، ثم دفع نحوها بطاقة مذهبة الأطراف.«أظنك حصلت على واحدة من هذه البطاقات.»

كانت دعوة من فيليب سليد الى حفلة في منزله في لندن، للتعارف مع خطيبته سوكي تاماكي وبعض أفراد أسرتها، وضعت البطاقة من يدها وهي تقول:«كلا، حسناً، لم تصلني حتى الآن.»

«ولكنك ستحصلين على واحدة.»قال ذلك بهجة غريبة مكشراً عن أسنانه بشكل تصورت معه أنه يعني به ابتسامة.

قالت:«هذا ما أتوقعه.» وارتبكت لغرابة لهجته. أتراه

يسخر منها لأن فيليب تزوج فتاة غيرها؟ وهل هو جاد في تصوره أن هذا سيزعجها؟ أرادت ذات يوم أن تجعله يعتقد بأنها تهتم بفيليب، لكنها تركت هذا الإدعاء تدريجياً.

«وأنا أتوقع ذلك.»قال هذا بحدة، فأجفلت للغضب الذي بدا في صوته.

قالت متلعثمة:« ماسبب هذا كله؟»

فقال:« تاماكي، خطيبة فيليب، هي من أسرة تاماكي.»

عند ذاك تذكرت جينا أن فيليب كان قال إن خطيبته من أسرة يابانية أميركية تعمل بالصحافة. فقالت بحذر:«نعم، سوكي تاماكي، هل سبق وسمعت باسم أسرتها؟ عندما اتصل بي فيليب هاتفياً ليخبرني بأنه خطبها، فكرت في أنني سبق وسمعت بالإسم، لكنني نسيت أن أذكر لك ذلك.»

فقال متهكماً:«أحقاً نسيت؟ أليس هذا غريباً؟ طبعاً، زواج سليد من أسرة تاماكي، هو شيء غير هام، فلماذا تزعجين نفسك بإخباري عن ذلك؟»

نظرت إليه بضيق:«لماذا كل هذه السخرية؟ إلى أين تريد الوصول؟»

أتراه عرف بأمر مؤامرة ديرموت؟ جعل الذعر تنفسها يسرع وقلبها يخفق.

«إلى أين أريد الوصول؟» وقف فجأة، فتوتر جسمها وهي تنظر إليه بعينين متسعتين. تقدم نحوها وأخذ يحدق في عينيها متفحصاً يريد أن يقرأ أعماقها:«أحقاً لا تعلمين؟»

فقالت متلعثمة:«أ... أعلم ماذا؟»

توترت أعصابها لاقترابه منها. هل أخبره أحد بما يجري؟ مازال ثمة من يسانده بين المديرين وهم رجال

وضعهم بنفسه في مجلس الإدارة ليخبروه بما يجري ويصوتوا بالشكل الذي يريده منهم، ولكن هل ديرموت من الغباء بحيث يفاتح بالأمر أياً من أصدقاء نيكولاس؟ كانت تظنه اكثر فطنة من ذلك بكثير.

عادت الإبتسامة الساخرة إلى فم نيكولاس:«كلا، لا أراك تعلمين. أعترف بأنني شعرت بالإرتياح، ولكن كان يجب أن تعلمي.»

«آسفة، ولكنني لا أعرف ما الذي تتحدث عنه.

«من حسن حظك أنني أصدقك.»

هزت جينا رأسها مرتبكة:«هل ستخبرني عما تتحدث عنه، أم أبتعد عن هذا المكان لأدع أعصابي تنهار في مكان هادىء آمن؟»

قال ضاحكاً:«كم مرة قلت لك ان تقومي بأعمالك المنزلية، وتعرفي كل ما يمكنك معرفته عن صناعة الصحف العالمية، وتدرسي أصغر التفاصيل في المجلات التجارية؟ إحرصي على تعلم مهنتنا، ياجينا. عليك أن تتوقفي عن التفكير بالطريقة الإنكليزية. إن شركتنا عالمية وستنمو أثناء العقد التالي، فنحن ننتشر عالمياً، فإذا كنت تريدين أن تكوني جزءاً من مستقبل شركة كاسبيان الدولية، يجب أن تتعلمي كل ما يمكنك عن منافسينا في مجال العمل، كما تتعلمين عنا وعن أسواقنا.»

«لقد كنت أحاول ذلك.»فنظر نيكولاس في عينيها، ثم ابتسم ابتسامة ملتوية:«حسناً،آسف يا جينا، فأنا أعلم أنك تفعلين ذلك، لقد اشتغلت أثناء السنة الماضية بجد بالغ، لقد كنت أراقبك وقد تأثرت لذلك.»

تملكها شعور غريب هو مزيج من الخوف والشعور بالذنب والندم وهي تفكر في المؤامرة التي كان السيد ديرموت يحوكها ضده، ودورها فيها. شعرت بالغثيان وهي تفكر في نظرة نيكولاس إليها بعد أن يعلم أخيراً بخيانتها له.

لكنها ذكرت نفسها بأنه كان تآمر هو أيضاً ضد الرجل العجوز. لقد كان خدع السيد جورج، ما تسبب بموته. لماذا يفلت هو من العقاب حاملاً المكافأة التي جلبتها له تلك الخيانة؟ وما الذي يجعلها تشعر بالعار لأنها تفعل به ما يفعله هو بالآخرين؟ ألم تتوعده منذ عام بأنها ستنتقم يوماً ما، للرجل العجوز؟ لايمكن لنيكولاس أن يقول إنها لم تحذره.

«أتذكرين الرحلة التي قمنا بها إلى كاليفورنيا؟»كان يقول ذلك برقة، فأجفلت، وأسبلت أهدابها.

كيف يمكنها نسيان ذلك؟ لقد علمت الكثير عنه في تلك الرحلة. فما أخبرتها به أمه قد منحها إدراكاً عميقاً لشخصية نيكولاس كاسبيان. جعلها تعلم أنه، إذا كان طموحاً، قاسياً، فذلك لأنه كان تألم، هو نفسه، وبشكل خطير مفجع، وذلك عندما كان صبياً. لقد أمضى نيكولاس طفولة وحيدة منعزلة دون محبة من أحد، فلم يكن غريباً أن ينمو خشناً عديم الرحمة في ملاحقة ما يريد.

قال:«لابد أنك علمت بأسرة تاماكي عندما كنا في كاليفورنيا، إن أسرة تاماكي تملك صحفاً على طول الساحل الغربي. لم تقم مجموعتنا الصغيرة بأي تعامل معهم، لأنهم لم يكونوا يهتمون بالبيع بل بالشراء. لقد أوجد والد تلك الفتاة شركة منذ حوالي الثلاثين عاماً، وكانوا

ناجحين جداً. إنهم أقوياء بعيدو النظر واصحاب تمويل جيد. أنا لست مسروراً لزواج سليد من تلك الأسرة فأسمهه تهم هذه الشركة كثيراً، ولن يتردد في استخدامها ضدي، تسانده تلك الأسرة القوية.»

فقالت بارتباك وانزعاج:« ولكن... ولكن من المؤكد أن أسرة تاماكي ليس لديها أسهم في سنتنال... فأي ضرر يمكن أن يسببوه لنا؟»

اجاب مفكراً:«لا أدري... ولكن احساسي يخبرني أن ثمة شيئاً يدور وراء ظهري احساسي لايخطىء أبداً. دوماً كنت قادراً على الإحساس بالمشاكل قبل أن تصيبني.» واستدار يحدق من النافذة، عابساً. بينما أخذت جينا تراقب جانب وجهه الحاد كالسيف، وهي تعض شفتها. كان مصيباً، بالطبع، والمشاكل توشك أن تحل به، ولكن ليس من أسرة تاماكي. أعداؤه أقرب إليه منهم بكثير. إنهم داخل شركته، في غرفته، ويقفون حالياً بجانبه تماماً.

لم يذكر السيد ديرموت أن أسرة تاماكي هي جزء من مؤامرته. وهي لا تصدق أنه سيصبح شريكاً لغرباء كلياً، كلا، ليس هناك طريقة تمكن أسرة تاماكي من التدخل في سنتنال، ليس في السوق أسهم يمكنهم شراؤها ما عدا أسهم فيليب، وهو لا يملك سوى عدد قليل. صحيح أن تلك الأسهم ذات أهمية عند التصويت، وتعني أن فيليب يملك التوازن بينها وبين نيكولاس، ما يجعل بإمكانها أن تسد الطريق على نيكولاس حين تشاء، ولكنها، الأسهم، وحدها ليست بذات أهمية.

قالت تخفف عنه: «إنك مرهق. فأنت تجول حول أوروبا

على الدوام، تقف يومين هنا، ويومين هناك... لديك مشاكل في لندن وفي أمكنة أخرى. مشاكل مادية... ما يجعل من غير المستغرب أن يتملكك جنون العظمة.»

ألقى عليها نظرة تفور بالغضب، ثم ما لبث أن ضحك فجأة: «هل لدي جنون عظمة؟ حسناً، ربما هناك شيء من الحقيقة في ما تقولين، من أين أحضر بديلاً لهيزل عندما ترحل؟ هل يمكنك أن تقنعينها بالبقاء؟ إنها لن تستمع إلي.»

«نيكولاس، إنها سترحل عاجلاً، على كل حال. قد لا تكون لاحظت، لكنها ستلد قريباً، وهذا يعني استحقاقها لإجازة أمومة تبلغ الستة أشهر. هذا اولاً... وعلى أي حال، ليس بإمكانها السفر، بعد الولادة، رواحاً ومجيئاً الى ومن هولندا لكي ترى بييت في العطلات الأسبوعية بعد ولادة طفلها، إنهما سيرغبان في العيش معاً.»

«أرجو أن أتمكن من اقناع بييت بأن لا يتابع مشروعه في إقامة شركة خاصة به. إنني بحاجة إليه، إن لدي عدة مشاريع لكي يقوم بها بعد أن انتهت أعمال الطباعة في أترخت.»

ألقت جينا عليه نظرة ضارعة: «نيكولاس، لا تتدخل مرة أخرى... إنني أعرف أن بإمكانك إقناع بييت بأي شيء تقريباً، فأنت مقنع جداً حين تشاء.»

تمتم ساخراً وهو يقترب منها: «أحقاً؟ لم ألحظ قط أن من السهل إقناعك.»

شعرت بوجهها يلتهب، فقالت غاضبة: «لا تبدأ العبث معي، يا نيكولاس، فهذا موضوع جاد فاستمع إلي. لقد بقي بييت سنوات يحلم بإقامة شركة خاصة به، فلا تحاول إقناعه بترك ذلك دعه ،يذهب.»

عبس نيكولاس ونظر إليها بحدة. فقالت برقة: «أرجوك، يا نيكولاس.»

«حسناً، إذهبي أنت وإياه الى الهلاك، علي إذن أن أجد بديلاً لهيزل، وبسرعة. أفضل العمل مع واحدة أعرفها وأثق بها. ولهذا أظن علي ان أحضر احدى السكرتيرات من لكسمبورغ.»

عبست جينا، قائلة: «رأينا، أنا وهيزل، أن صوفي واطسن ستكون جيدة جداً.»

«صوفي واطسن؟ من هي..؟ آه، إنني أعرفها، انها سكرتيرة غاي فوكنر.» ثم ألقى على جينا نظرة غضب وضيق: «لا أظنك عينتها الآن في الوظيفة؟»

ألقت عليه نظرة صافية وقد بدت البراءة في عينيها الخضراوين وكذلك الألم والتوبيخ. «كلا بالطبع، كان ذلك مجرد اقتراح. ولكن بما انني سأعمل مع السكرتيرة في المكتب فمن المفترض أن تكون شخصاً أحبه. ولكنك، طبعاً، إذا أحببت أن تحضر واحدة من لكسمبورغ، فهذا حقك.»

إلتمعت عيناه، قائلاً: «شكراً لك.»

تجاهلت لهجته المتهكمة: «ولكن هناك أحاديث كثيرة عن العدد الكبير من الموظفين الذين أحضرتهم من «شركة كاسبيان الدولية» ليحتلوا أمكنة موظفين قدماء عندنا. إن البعض يطلق على هذا المكان إسم «برج بابل» هذه الأيام، إذ أصبح كثير من الموظفين المختلفين الجنسيات يعملون هنا.»

«لقد سمعت بهذه النكتة. كما إنني أعلم أنهم يسمونني

كاسبيان البربري.» قال نيكولاس ذلك دون أن يبدو عليه أي هزل بهذا الشأن.

لم تستطع منع نفسها من الضحك بهدوء:«آه، إنك سمعت بذلك؟»

«منذ أشهر. انني واثق من أنك تظنينني أستحق ذلك.»

أخذت تنظر إليه وهي تبتسم:«حسناً...»

مال نحوها، فأجفلت مبتعدة، فقال مهدداً:«حذار، فأنا لا أعيش حسب هذا اللقب، يا جينا، لكنني غالباً ما أجد إغراء في أن أصبح بربرياً عندما تدفعينني إلى الذهول عن كل شيء آخر.»

أخذ قلبها يخفق بعنف، لكنها شعرت بالإرتياح عندما دق الجرس الداخلي. صرف بأسنانه بصوت مسموع، لكنه، بعد تمهل قصير، مد يده إلى الزر يضغط عليه، ثم يقول بحدة:«نعم.»

جاء صوت هيزل:«السيد ييتس هنا.»

بدت الكراهية على وجه نيكولاس.«لا بأس أدخليه.» ثم قال لجينا:«لقد نسيت أنه سيأتي، إنك رأيت، كما أظن، آخر الأرقام. إنها، بصراحة، تقلقني. علينا أن نعقد اجتماعاً آخر لرؤساء الأقسام هذا الأسبوع لكي نتناقش في الأمر.»

دخل سين ييتس باسماً:«صباح الخير، يا جينا، ماأجمل لون ثوبك هذا إنك تزيدين الإشراق في هذ النهار البارد.»

فقالت وهي تتجه نحو الباب:«شكراً، يا سين وكذلك أنت.»

سألها نيكولاس:«قبل أن تذهبي ياجينا، بقي أمر واحد، وهو، الا ينبغي علينا أن نقيم حفلة وداع لهيزل قبل أن ترحل؟»

فأومأت في الحال:«طبعاً. سأبدأ في ترتيب هذا الأمر. إن أمامنا شهراً لإنهاء ذلك. هل تكتب أنت قائمة بأسماء المدعوين أم أكلف هيزل بذلك؟»

«يجب أن ندعو رؤساء الأقسام، وذلك حفظاً للشكليات، وعدا ذلك إدعي كل أصدقائها وأي شخص آخر تريان، أنتما الإثنتين، وجوب دعوته، سنقيم الحفلة في الفندق. إنني اقترح السبت، آه، وطبعاً بييت سيكون هناك.»

فأومأت جينا:«وماذا عن عدد المدعوين؟ كم..؟»

فقاطعها:«سأدع لك كل هذا.»

وفي مكتبها، رفعت سماعة الهاتف ثم أدارت رقم القسم القانوني في الصحيفة.

«صوفي، هل يمكنك القدوم إلى مكتبي هذا الصباح؟ هنالك شيء هام أريد التحدث عنه معك.»

جلست صوفي بجانب مكتب جينا، بعد ذلك بساعة، وأخذت تنظر إليها بعينين متسعتين، وقد فوجئت بفكرة العمل مع نيكولاس كاسبيان يومياً.

سألتها جينا دون أن يدهشها ذهول الفتاة:«هل تريدين هذا العمل؟ ليس عليك إعطاء قرارك النهائي الآن هنا. ولكنك إذا كنت واثقة من عدم رغبتك في ذلك، من الأفضل أن تعطيني الجواب في أسرع وقت ممكن، لكي نبدأ البحث عن فتاة أخرى.»

فقالت صوفي:«حسناً..كانت هذه مفاجأة مذهلة تماماً.»

فقالت هيزل ضاحكة:«إنه، عادة، لايأكل الناس، أنا لا أقول أن العمل معه سهل، لأنه صعب أحياناً، لكنك سبق وعملت مع رجال ذوي سلطة كبرى، من قبل. فالعمل مع غاي فوكنر لا يمكن أن يكون بسيطاً، مثلاً، وهكذا ستعتادين العمل مع نيكولاس بسرعة وهو رئيس كريم جداً، سيكون أجرك اكبر بكثير من أجرك الحالي وكذلك وضعك ونفوذك. كما أن العمل متنوع وممتع.»

ثم أخذت تشرح لها العمل بالتفصيل بينما أخذت صوفي تستمع بإمعان وقد بدا الجد على ملامحها:«وطبعاً، سأبقى معك أسبوعاً أو نحو ذلك لكي أدربك على العمل. إنني سأنتهي من هنا بعد شهر، ولكنني لا أمانع في البقاء أسبوعاً زائداً إذا اقتضى الأمر.»

وسألتها جينا:«حسناً، مارأيك؟»فنظرت صوفي إليها مترددة وهي تعض شفتها.

«أيمكن أن أفكر في الأمر بعض الوقت؟ أظن العمل سيعجبني، لكنني بحاجة الى يومين على الأقل لأقرر فيهما قبل إعطاء الجواب النهائي.»

«هذا طبيعي، فقد فاجأناك بالأمر في الحقيقة. دعينا نعلم جوابك عند انتهاء العمل يوم الجمعة.»

قالت جينا ذلك، فوعدتها صوفي خيراً وخرجت.

عندما وصلت إلى مكتبها، وجدت غاي يبحث على الرفوف عن كتب قانونية معينة، فيسحب الأول ثم يعيده ليسحب الثاني، متفحصاً.نظرت صوفي إلى ساعتها، مترددة: نظر إليها غاي، فقالت:«لقد اقترب وقت الغداء. أيمكنني أن أغيب نصف ساعة زيادة اليوم؟ أريد أن

أتسوق للعيد وهذا المساء سأبقى في العمل نصف ساعة زيادة فأعوض بذلك الوقت الذي أخذته.»

أومأ برأسه وقد عادت نظراته إلى الكتاب المفتوح بين يديه. فكرهت صوفي عدم مبالاته هذه، ولكن ذلك جعل من السهل عليها ان تخبره بما حدث معها في مكتب كاسبيان. لقد سرها هذا في الواقع. حسناً، فليومىء بعدم مبالاة الآن لهذا الخبر. فقالت:«بالمناسبة، هيزل فان ليدن ستترك عملها. وقد طلبوا مني أن أعمل مكانها.» ساد صمت شعرت معه بدمها يبرد في عروقها. وكانت هي ترتدي معطفها الآن، فالتفتت إليه فوجدته واقفاً بجمود، وقد بدا وجهه دون تعبير نظرت إلى عينيه فتوقفت عن التنفس.

سألها وشفتاه لا تكادان تتحركان:«وهل قبلت؟»

وجدت صوفي من الصعب أن تنطق بجواب. فقد كان فمها جافاً للغاية.

«قلت لهم إنني سأفكر في الأمر...»

تقدم نحوها خطوة، وفي تلك اللحظة قرع الباب ثم انفتح وبدت فاليري نايت رائعة في ثوب أبيض ضيق يبرز مستديرات جسدها البديع التكوين.

قالت لاهثة وقد بدا أنها عمياء عن حضور صوفي، كعادتها:«آه، أنت هنا، يا غاي، هذا حسن.»

فقال وقد تلاشى التوتر في وجهه لتحتل مكانه ابتسامة:«مرحبا يا فال.»

أخذت صوفي تنظر إليه وقد توترت شفتاها. كان واضحاً أنه لم ينس فاليري بعد. وذلك من الطريقة التي كان يحدق فيها إليها.

قالت فاليري مبتهجة:«خطر لكوليت فكرة نيرة الآن. إننا سنحضر مولي غرين وطفلتها إلى لندن للقيام ببعض التسوق للعيد، وسيمكننا عندذاك كتابة مقال عنها مع صور لها وللطفلة. ولكنها طلبت مني أن أبحث الأمر معك اولاً خوفاً من أن يسبب المقال تعقيدات قانونية.»

فقال غاي ببطء:«لايمكنني أن أرى ضرراً في ذلك، خصوصاً إذا كان المقال مصوراً، كم يبلغ عمر الطفلة الآن؟»

«حوالي الثلاثة أشهر، وهي رائعة. إنها تشبه أمها كثيراً. وهذا واضح.»

ضحك غاي لحماسة فاليري وقد بدا الدفء في عينيه:«أرى أنك على اتصال بهما.»

فقالت تعترف:«أعلم أن هذا ضد مبادىء المهنة، ولكن مولي وطفلتها يهمني أمرهما على نحو ما.»

لم يبد أي منهما ذرة اهتمام بما كانت صوفي تقوم به، وربما لم يلحظاها وهي تخرج بهدوء وتتركهما بمفردهما.

نزلت في المصعد ثم أخذت تاكسي إلى خارج باربري وارف. كانت تلك المواجهة المختصرة مع فاليري نايت قد بلورت كل شيء بالنسبة إليها، كانت مترددة في ما إذا كانت تقبل الإنتقال إلى وظيفة هيزل أم لا. اما الآن فقد قررت ما ستفعل. ستقبل بذلك.

رؤيتها لغاي مع فاليري وهو يبتسم لها، جعلها تدرك شيئاً كان عليها الإشتباه فيه منذ مدة طويلة، وهو انها، هي صوفي، مغرمة بغاي فوكنر.

لم تكن كذلك تلك الليلة التي أنقذها فيها من حفلة خطوبة فاليري وجيب. كانت تعتقد حينذاك أنها مغرمة بجيب. لكنها

الآن تدرك أن ذلك الحب كان يتلاشى بالتدريج قبل أسابيع من تلك الحفلة. فقد كان جيب يخرج مع فاليري بانتظام طوال الخريف وبداية فصل الشتاء. عادت صوفي بذاكرتها إلى تلك الأيام فرأت أن مشاعرها كانت تغيرت شيئاً فشيئاً. وعند اقتراب الحفلة كانت قد نسيت ذلك الحب تقريباً. ولكن ليلة الحفلة إضطرمت فجأة آخر شعلة من مشاعرها... آخر بصيص من تلك النيران التي كانت تموت.

لماذا لم تدرك كل هذا من قبل؟ أخذت تتساءل محمومة عن ذلك وسيارة التاكسي تصعد بها إلى شارع «كروس رود» حيث حوانيت الكتب القديمة لتبحث فيها عن كتب لخالها ثيو.

كانت عمياء عن تغير مشاعرها، صماء إزاء قلبها. وليلة اوصلها غاي فيها إلى بيتها واخذ في مغازلتها، تجاوبت معه بكل مشاعرها، ثم عادت فاحتقرت نفسها عند الصباح التالي، عندما عادت الى طبيعتها. ولكن لابد أنها كانت قد سبق وابتدأت بالوقوع في حبه، لماذا لم تدرك ذلك حتى الآن؟

كانت شوارع لندن مزدحمة بالمتسوقين المسرعين في ذلك الجو القارس البرد. لكنها لم تكن تشعر بالبرد في الحقيقة، فقد ابتدأت، وقد أصابها الدوار، ترى المصير الذي ينتظرها... عذاب الحب لرجل لا يحبها، كان قلبها قد امتلأ ألماً، وكانت التعاسة تخرسها.

لكنه كان ألماً مألوفاً. فقد سبق وعانت مثله من قبل مع جيب. لقد ضيعت من حياتها أشهراً في حبه بينما كانت تعلم أنه لا يحبها. وها هي ذي الآن قد أصبحت في نفس الوضع مرة أخرى...

أنزلتها التاكسي قرب «محكمة سيل» فأخذت تطوف على حوانيت الكتب القديمة المستعملة في تلك المنطقة، دون فكرة ثابتة عما كانت تبحث عنه، ما عدا أنها كانت تريد بعث السرور في نفس خالها وذلك في شراء ما يناسب مجموعته من الكتب القديمة. فالعيد سرعان ما يأتي بينما هي لم تجد بالضبط الهدية التي تناسبه.

لكن مزاجها لم يكن رائعاً هذا النهار. وهكذا توقفت عن ذلك بعد نصف ساعة فدخلت إلى مقهى لتطلب شطيرة وكوب قهوة. وعندما جلست إلى المائدة لتأكل طعامها، أخذت تجول بعينيها في زحام المقهى. كان باربري وارف بعيداً عنها، وهكذا لم تكن تتوقع أن ترى أحداً تعرفه، ولكنها رأت، فعلاً.

كان جيب جالساً في زاوية مع فتاة لم ترها صوفي من قبل، فتاة ذات شعر بني جعد ووجه بشكل القلب. كانت هي وجيب يضحكان بصوت مرتفع. ثم مالت الفتاة نحوه بشكل حميم. أخذت صوفي تنظر إليهما ذاهلة.

وكأنما أحس هو بأنه مراقب، فالتفت فجأة ونظر في أنحاء المقهى. ارتبكت صوفي وعيناها تلتقيان بعينيه. لم تكن تريد أن تتحدث إليه أيضاً، وهكذا نهضت وخرجت من المقهى دون أن تنهي طعامها.

كان عليها أن تأخذ تاكسي إلى متجر «ليبرتي» حيث تشتري هدية العيد لأمها التي كانت تحب ألوان وطراز الملابس التي يبيعها ذلك المكان.

وبينما كانت تقف تنتظر مرور سيارة، خرج جيب من المقهى وأمسك بذراعها.

«لماذا اندفعت خارجة بذلك الشكل؟ كنت أريد أن

أعرفك بهارييت. هل لديك وقت لتعودي وتتعرفي اليها؟»

حدقت صوفي إليه لاتعرف بما تجيب. ومالبثت أن سألته: «ومن هي؟»

«إنها جارتي الملاصقة لبابي. والدها قاضي، القاضي ريدجواي لابد أنك سمعت باسمه.»

فقالت صوفي ببطء: «نعم، طبعاً. إن غاي يذكر اسمه دوماً. أظنه يعرف الأسرة جيداً.»

فقال جيب عابساً: «لهذا أردتك أن تتعرفي إليها! هارييت تعرف غاي منذ كانا يدرسان معاً الحقوق. وكانا يتقابلان على الدوام، لفترة من الزمن. وكان والدها حريصاً على أن يتزوج غاي من أسرته. ذلك لأن أسرة غاي غنية، كما تعلمين.»

فقالت صوفي شاعرة وكأن فمها مليء بقطع زجاج: «كلا، لاأعلم هذا، ماأعرفه عنه قليل جداً.» واكتسحتها موجة من المرارة. كان هذا تقليلاً من شأنها. فقد كانت تظن نفسها تعرفه جيداً. ولكن يبدو أنها كانت مخطئة كثيراً.

فقال جيب: «حسناً، آل فوكنر أثرياء جداً. عندهم الكثير من الأراضي والقرى في أمكنة متعددة. والقاضي ريدجواي كان يحب أن تتزوج ابنته من محام غني. ذلك أن اكثر الشبان الذين كانت هارييت تعرفهم كانوا طلاباً فقراء عليهم أن يبنوا مستقبلهم. ولهذا لم يكن والدها يريدها أن تتزوج واحداً منهم.»

فقالت صوفي بصوت جاهدت لكي تبقيه ثابتاً: «إذن، غاي كان مخطوباً لها طوال الوقت سراً؟»

«كلا. إنك لم تفهمي الأمر! لقد تركت هارييت والدها يعتقد أنها وغاي خطيبان وكلما جاء ذكر الزواج، كانت تقول إنها تريد أن تستقر في مهنتها أولاً... لكن الحقيقة أنها كانت تواعد رجلاً آخر سراً. رجلاً كان والدها يكرهه كما يكره السم، كما تقول هارييت. وكانت خائفة جدا من أن تخبر والدها عنه. حتى انها لم تجرؤ على أن تخبر غاي كيلا يخبر والدها. لأن ليس لدى غاي فكرة جيدة عن ذلك الرجل، أيضاً. إنها تسير في طريق خاطىء، ياصوفي. هلاً جئت وتعرفت إليها؟ إنها تعرف كل شيء عنك وهي متلهفة الى التحدث إليك.»

فسألته بحذر: «ماالذي أخبرتها به عني؟»

فقال بابتسامة عريضة: «إنني لم أكد آتي على ذكرك.»

«من حدثها عني إذن؟غاي؟»

فهز رأسه: «كلا، ليس غاي، وإن كانت تعلم انك سكرتيرته، طبعاً. لكنه لم يتحدث عنك.إنه حبيبها الذي أخبرها بكل شيء عنك...»

فاستدارت عينا صوفي: «وهل أنا أعرفه؟»

فأومأ قائلاً: «إنه سينضم إلينا هنا في أية لحظة. إبقي معنا لكي تريه. لكن تعالي أولاً وتحدثي إلى هارييت. إنها تريد أن تسألك النصيحة. إنها عزيزة علي، وحلوة للغاية وأنا مولع بها جداً.»

ضحكت صوفي واستدارت لاحقة به عائدة إلى المقهى. لكن جيب جمد في مكانه وهو يحدق إلى رجل طويل القامة كان مسرعاً نحوهما.

ها هوذا.»

«أندريس!»شهقت باسمه بصوت مرتفع. وقد بدا عدم التصديق في عينيها.

«صوفي؟» أجفل هو أيضاً رغم أنه لم يبد عليه عدم التصديق بقدر ما بدا عليها. رأته وقد احمّر وجهه وبدا عليه عدم التوازن بشكل غريب. وفجأة، أصبح كل شيء واضحاً.

تذكرت كيف كان اندريس يلقي عليها أسئلة متتابعة عن غاي. مثيراً حيرتها باهتمامه برئيسها. ماجعلها ترتاب فيه قليلاً. لقد عرفت، حينذاك، بأن أندريس لم يكن يهتم بها حقيقة. ولكنها لم تستطع أن تعرف مايهدف إليه!

«إذن فأنت رجل هارييت الغامض؟»

إبتسم أندريس لها معتذراً: «أخشى أن اكون مذنباً.»

سألته: «لماذا لم تخبرني عندما تعشينا معاً؟»

«أردت أن أعرفك أولاً. هل قابلت هارييت؟»

فقال جيب بابتسامة عريضة: «لقد رأتها معي في المقهى. فاندفعت خارجة وقد تملكتها شكوك سوداء، كما أخشى.»

فقالت صوفي لاوية شفتيها: «إنك محظوظ اذ أمسكت بي. ربما كنت حدثت فاليري بكل مارأيته، عند ذلك اين تصبح أنت؟»

فقال جيب ببشاشة: «فاليري تعلم كل شيء عن هارييت. فقد قابلتها عدة مرات. فاليري في الواقع،هي التي نصحت هارييت بأن تطلب من غاي أن يخبر والدها بهذا الخبر.»

إزداد اتساع عيني صوفي: «هل تمزح؟هل هي حقاً ستطلب من غاي أن يخبر أباها؟»

فقال أندريس بسرعة: «إنه لايحب هارييت ولم يحبها قط. لكنه الوحيد في العالم الذي بإمكانه أن يجعل ريدجواي

الأب متعقلاً، إذا نصحه غاي فوكنر بأن يقبل، ربما يقبل الرجل العجوز.» وبدا على وجهه فروغ الصبر بينما لمعت عيناه بالإزدراء:«إنني أعلم أن الرجل العجوز يكرهني... إن لدينا نظرة إلى القانون مختلفة جداً، في كيفية تنفيذه.

إنه يسميني المحتال، لكن عليه أن يعترف بنجاحي. ورغم كل كراهيته لأساليبي، فأنا لاأعمل إلا ضمن القانون.أنا لاأتخطاه أبداً. إن لدي زبائن مجرمين، لكنني لست مجرماً مثلهم.»

قال جيب يستعجلها:«هيا أدخلي وتعرفي إليها.»

فتركته صوفي يقودها عائداً بها الى داخل المقهى حيث كانت هارييت تنتظر وقد استبدّ بها القلق.

تصافحت الفتاتان، وقالت هارييت بصوت دافىء:«قال أندريس إنك فتاة كلاسيكية وأنا أعرف الآن ماذا كان يعني.»

إبتسمت صوفي قليلاً:«إنني أتساءل ماذا كنتما، أنت وهو، ترجوان مني أن أفعل لأجلكما بالضبط...»

نظرت هارييت إلى أندريس بعجز، فهز هذا كتفيه:

«هارييت لاتدعني أتحدث إلى والدها وجهاً لوجه...»

فقالت هارييت: «قد يصاب بنوبة قلبية.» ثم حملقت في صوفي:«وهكذا... ترين، ظننت... أرجوك ياصوفي، هل لك أن تطلبي من غاي أن يخبر أبي بالأمر؟»

الفصل التاسع

أخذت كوليت تسي تنقر بالقلم على أسنانها المنتظمة الناصعة البياض، وهي تحدق إلى الصور الفوتوغرافية التي كانت منتشرة على مكتبها.

قالت فاليري راضية:«إنها جيدة، اليس كذلك؟ ماأعجبتني اكثر هي هذه، مولي مع طفلتها وفي حضنها دب كبير محشو. إن مولي(فوتوجينيك) جدا، وكذلك طفلتها. آه، لقد اشترينا الدب هذا، بالمناسبة. فهي هديتنا للطفلة. لم يكن لدي فكرة عن أن الألعاب تكلف كل ذلك المبلغ. لكننا أردنا شيئاً كبيراً ثمين المظهر. لقد سموها «ديدري»... أعني الطفلة وليس الدب. إنها ظريفة جداً، اليس كذلك؟» وحركت الصورة نحو كوليت.

فقالت رئيسة تحرير باب الشخصيات، دون حماسة:«إنها ليست سيئة. لكن لاشيء جديد هنا، ياڤال. إنها ظريفة، لكننا نريد شيئاً اكثر من الظرف. أين الإثارة؟»

نظرت إليها فاليري بحدة:«لاأدري ماذا تعنين. إنها قصة رائعة عن العيد. الأم وطفلتها... منبوذتان منسيتان أيام العيد.كما أن نظرة مولي بالغة البراءة...»

نظرت إليها كوليت بجفاء، بينما أصابعها الرشيقة تجمع الصور في كومة:«كلا، آسفة. لايمكننا استعمال أي من هذه الصور. ستكون مضيعة لمساحة المقالة.»

تملك الغضب فاليري. فألقت كوليت عليها نظرة جانبية، تقييم مزاجها. حيث انها كانت طموحاً، فقد كانت تعلم دوماً متى يتملك الطموح إحدى موظفاتها. وهذا طبعاً ينطبق على فاليري. لم تكن كوليت تخافها. لكنها لم تكن تريد أيضاً أن تجعل منها عدوة لها. فقالت لها برقة: «لو استطعت أن تجعلي ماك كامرون في الصورة، سيختلف الأمر.»

أطلقت فاليري ضحكة غاضبة: «إنه يرفض حتى رؤيتها. فكيف يقبل بأن يتصور معهما؟»

«إذا أخذت الصورة بشكل مفاجيء...»

«أتعنين أن آخذهما إلى شقته... ثم ألتقط لهم صورة قبل أن يعرف مايجري؟»

لم تكن خطرت هذه الفكرة لفاليري. وعادت تقول: «إن مولي ستكره هذا الفعل. إذا كانت تثق بي فهذا لأنها تعلم أنني لا ألجأ إلى مثل هذه الأعمال الرخيصة لجذب الأنظار.»

إختنق وجه كوليت غضباً: «إنك مخبرة صحافية ولست عاملة إجتماعية. إما أن تأتي إلي بصورة مثيرة للقراء، وإما أن لاتضيعي وقتي!»

نزلت فاليري إلى مقهى توريللي لتحضر شطيرة وهي تفكر بضيق في تصميم كوليت.

كانت تلك المرأة بالغة الخشونة. فهي لاتقيم وزناً للإعتبارات الأخلاقية أو الرقة واللطف. القصة هي القصة مهما سبب من ألم، ولأي شخص كان.

أثناء عودتها، وقد وضعت غداءها بكيس ورقي، صادفت جينا عائدة من التسوّق للعيد، حاملة اكياساً عديدة.

قالت لها فاليري مازحة وهما تقفان بانتظار المصعد: « هل كنت مشغولة؟»

فأومأت جينا: «كنت مستمتعة أيضاً، إنني أعشق شراء الهدايا.»

ذكر هذا فاليري بقضائها هذا الصباح مع مولي وطفلتها، فتوترت ملامحها وقالت شاردة الذهن: «نعم، نفس الشيء هنا.»

«هل جرى شيء سيء؟ يبدو عليك الضجر.»

أخبرتها فاليري باقتراح كوليت: «إذا كانت تظن أن بإمكاني إقناع مولي بالذهاب إلى شقة كامرون ومفاجأته بأخذ صورة له، فهي فقدت عقلها. إن مولي تفضل الموت على هذا. أحياناً يخطر لي أن كوليت لاتفهم الطبيعة البشرية على الإطلاق. دوما، أتساءل عما إذا كانت إنساناً آلياً روبوت.»

«ربما لدى نيكولاس كاسبيان مئات منهم في المختبر في لكسمبورغ.» فأخذت الإثنتان تضحكان. ثم قالت جينا مفكرة: «أتعلمين أن ماك كامرون قد أجرى سلسلة اختبارات ليعلم إن كان بإمكانه إنجاب طفل؟»

«نعم، سمعت بذلك. لكن النتائج غير جاهزة بعد، أليس كذلك؟»

«كلا، ولكنني واثقة من أن تلك الطفلة طفلته، وأنت؟»

فتنهدت فاليري: «أنا واثقة تماماً. وأرجو أن تساندها النتائج تلك.»

«أظن هذا ماسيحدث. إسمعي يافاليري. ماذا لو دعوت ماك كامرون إلى شقتي لتناول فنجان قهوة...؟ كما أنك تحضرين مولي والطفلة إلى شقتي أيضاً؟»

أجفلت فاليري غير مصدقة: «هل ستفعلين ذلك؟»

ضحكت جينا بجفاء وهي ترى ماارتسم على ملامحها:«آه، ليس فقط لأحصل على صورة للنشر في سنتنال، ولكن لأجمع بين ماك ومولي، على انفراد. حيث يمكنهما أن يتحدثا وجهاً لوجه دون وجود محامين أو مخبري صحف! فقد حان الوقت ليقوما بذلك. ألاتظنين ذلك؟ لقد طالت قضيتهما كثيراً.»

«طالت كثيراً.»

«إذن فقد اتفقنا؟»

أومأت فاليري تقول:«إتفقنا!»

أخرجت جينا مفكرتها من حقيبتها وأخذت تقلب أوراقها، مقطبة جبينها:«لقد اقترب العيد، ولم يبقى هناك وقت. ماذا بالنسبة إلى واحد وعشرين من شهر ديسمبر؟ أنا حرة ذلك المساء. ماذا بالنسبة إليك؟»

كانت فاليري تنظر في مفكرتها هي أيضاً:«إنه يناسبني.»

«حسناً، إذن. دعي ماك لي أنا، وأحضري أنت مولي إلى شقتي. أخبريها بأن هناك حفلة صغيرة لها والطفلة. علينا أن نحضر الطفلة أيضاً. إذا لم تستطع الحضور ذلك اليوم، إعرفي متى يمكنها المجيء. واتصلي بي حالاً. حالما نتأكد من حضورها، سأدعو ماك.»

وصل المصعد فدخلتاه.«في أي وقت؟» ألقت فاليري عليها هذا السؤال والمصعد ينطلق بهما.

«السادسة والنصف، وهو وقت الكوكتيل المعتاد. كما أنه سيكون خالياً من أي عمل في مثل ذلك الوقت من اليوم.»

وقف المصعد وخرج الجميع منه. صعد المصعد مرة أخرى. فتابعت جينا تقول:«عندما يجتمعان معاً، نخرج

نحن ونتركهما بمفردهما. سأقول أنا إن مديرة منزلي لديها عطلة، ثم أطلب منك مساعدتي في المطبخ.»

ألقت عليها فاليري نظرة شك:«أتعتقدين أنهما سيصدقان ذلك؟»

هزت جينا كتفيها:«ربما لا. ولكن هذا غير مهم.»

«قد يخرج ماك كامرون غاضباً ثم لايتحدث إليك بعد ذلك، كما تعلمين.»

«أعلم هذا، إنها مجازفة عليّ أن أقدم عليها.»

قالت فاليري:«أليس الأفضل أن أسأل المحامي عن ذلك؟ يمكنني الإتصال بغاي هاتفياً،أسأله رأيه. لقد كان وافق على صورة مولي وطفلتها. لكن هذا الأمر مختلف. إذا استقبل ماك كامرون هذا بشكل سيء، وطلب تعويضاً مالياً، فإنني قد أخسر عملي.»

فقالت جينابحزم:«كلا، لن يمكنه أن يرفع عليك دعوى لمجرد دعوتك مولي والطفلة إلى حفلتي. فلاتكوني حمقاء. ولكن إذا أنت أخبرت غاي عما أخطط، فقد يحاول منعي كيلا تتعقد القضية في المحكمة، وأنا حقاً أريد القيام بهذا العمل. أنا واثقة من أن ماك يحب مولي وأنه عندما يرى الطفلة سيدرك أنها طفلته حقاً...إنه ليس سعيداً إزاء مايجري حالياً. إنه متلهف إلى طفل منه، وإنما لايظن أن بإمكانه الإنجاب.»

«ربما الأفضل أن ينتظر صدور نتائج التحاليل تلك؟»

فتمتمت جينا برقة:«ويترك مولي تعتقد أنه بحاجة إلى برهان ليصدقها؟ كلا، فليعترف لها بحبه أولاً، ولتأت نتائج التحاليل بعد ذلك.»

إتصلت هاتفياً، عصر ذلك اليوم، بماك كامرون، ولم تدهش وهي تجد نفسها تتحدث إلى جهاز الإجابة في الهاتف، فتركت له خبراً أنها تدعوه إلى تناول فنجان قهوة معها في الواحدة والعشرين من شهر ديسمبر.

كان نيكولاس وهيزل في المكتب الثاني يبحثان خلال كومة من الملفات عن أية ورقة لم يعد ثمة حاجة إليها فتمزّق. ولكن ما أن وضعت السماعة حتى خيل إليها أنها لمحت من طرف عينها، حركة عند الباب، وعندما التفتت لم تجد أحداً. لابد أن ذلك كان من تصوراتها.

إتصل بها ماك صباح اليوم التالي حين كانت على وشك الخروج من المكتب لحضور اجتماع لرؤساء الأقسام.

سألها:«هل هي حفلة كبيرة أم مجرد نحن الاثنين؟»

«سيكون هنا بعض الأصدقاء، لكنهم قليلو العدد. حاول أن تأتي، ياماك.»

«هل سيكون كاسبيان موجوداً؟»

«نيكولاس؟ كلا، لن يكون موجوداً!»

إمتدت يد من فوق كتفها تأخذ سماعة الهاتف من يدها. نظرت مصعوقة إلى وجه نيكولاس المتصلب. وأخذت تناضل غاضبة لاستعادة السماعة منه.

أبعدها عنه بينما كان يقول في الهاتف باختصار:«إن جينا مخطئة، ياكامرون. سأكون موجوداً هناك.»

قالت جينا غاضبة:«أعطني السماعة.»

تجاهلها نيكولاس وهو يستمع إلى ماك بانتباه، ثم يقول أخيراً:«فهمت. حسناً ياكامرون، في تلك الحالة، علينا أن نتحدث، سأراك في الحفلة.»

وضع السماعة، فالتفتت جينا إليه غاضبة وقد التهبت عيناها:«كيف تجرؤ على اختطاف السماعة ثم تخبره بأنك ستحضر الحفلة؟ إنني لم أدعك إليها ولاأريدك أن تكون حاضراً فيها! فقد تفسد كل شيء بحماقتك...»

قاطعها بقوله:«لقد أسقط ماك الدعوى.»

فهمد صوت جينا:«ماذا؟»

«حسناً، هذا جزء من البشارة، على كل حال. وياليته أسقطها قبل أن ننفق تلك المبالغ الكبيرة على توكيلنا أغلى المحامين أجراً في لندن. إنني أفكر في جعله يدفع لنا ماتكلفناه.»

«هل تحدث عن سبب ذلك...؟»

فهز نيكولاس رأسه:«قال إنه سيوضح كل شيء في حفلتك. كان مسروراً لحضوري الحفلة لأن ذلك سيمنحه فرصة ليتحدث إليّ على انفراد دون وجود المحامين معنا. لا شك في أنه سيحاول إقناعي بعدم التفكير في أية إجراءات انتقامية في المستقبل. إنه خائف من أننا قد نكتب عنه في الصحيفة مقالات عدائية بعد هذا.»

قالت جينا وقد تملكتها البهجة:«لابد انها التحاليل. ماذا يمكن أن يغير عقله غير ذلك؟»

أطل سين يتس من الباب سائلاً بتوتر:«مشكلات؟»

فقال نيكولاس وهو يخرج إلى غرفة الإجتماعات:«كلا، بل أخبار طيبة للمرة الأولى. أين غاي فوكنر؟ آه، هاأنتذا ياغاي. عندنا لك خبر. لقد أسقط كامرون الدعوى... لقد ربحنا.»

أجفل غاي وسأله:«ماالذي غير عقله؟»

نفس سؤال جينا، ولكن نيكولاس ابتسم بغموض وهو يلقي عليها نظرة جانبية.ثم قال:«سنعلم هذا المساء.»

وفي الواقع، تأخر نيكولاس في المكتب لوصول بعض السياسيين من أوروبا الشرقية كانوا يريدون التفرج على أنحاء باربري وارف.

فقال لجينا:«لكنني سأراكم فيما بعد.»

فأجابته بعذوبة:«آه، فقط إنسى الحفلة من فضلك. فأنا أعرف مقدار انشغالك.»

بدا التهديد في عينيه:«سأذهب إلى هناك فلا تقلقي.»

لكنها قلقت فعلاً، فقد كان نيكولاس يسيطر على حياتها بأجمعها. وكانت هي أعجز من أن تتمكن من إيقافه عند حده.

كانت جينا طلبت من فاليري نايت أن تحضر مولي وطفلتها قبل ربع ساعة من الوقت المتوقع حضور ماك فيه. لكن الثلج عاد يتساقط مرة أخرى. ماجعل حركة السير سيئة للغاية في ذلك الوقت من النهار. وهكذا وصل ماك أولاً وصافح جينا مشرق الوجه:«عيداً سعيداً ياجينا. تبدين وكأنك زينة العيد.»

فضحكت:«شعرت بالتألق هذا المساء فعلاً.»

«هذا الثوب يناسبك، وكذلك هذه.»وقدم إليها هدية العيد ملفوفة في ورق مزخرف بألوان ذهبية. فتأوهت وهي تهز رأسها:«ماك، لم أتوقع منك هذه!»

فقال:«إنها ليست سوى قارورة عطر.»

«لكنني لم أحسب حساب هدية لك.»

«لقد تلقيت لتوّي أجمل هدية في حياتي.» قال ذلك

وهي تفتح اللفافة ثم تظهر سرورها بقارورة العطر الباريسية بداخلها.

كادت اللفافة تقع من يد جينا وعيناها تتسعان إثارة:«ماك، هل تلقيت نتائج التحاليل؟»

أومأ برأسه وقد توهج وجهه سروراً:«يبدو أن بإمكاني إنجاب طفل.»

«آه، ياماك، هذا رائع. كم أنا سعيدة لأجلك!»

فقال:«شكراً، أحسن ما في الأمر هو أنني أصدق مشاعرك هذه وأنها ليست فقط لأنني أعفيت سنتنال من الدعوى القضائية.»

إبتسمت، ثم قالت بجد:«ولكن، ياماك. لماذا أخبروك قبلاً بأن ليس بإمكانك الإنجاب؟»

«لم يستطيعوا تقديم جواب قاطع لهذا، قالوا ربما التحاليل لم تكن أجريت بالدقة اللازمة حينذاك، أو أن النتائج لم تقرأ جيداً...»

أومأت جينا وهي تنظر إليه:«ألم تتحدث بعد مع مولي؟»

توهج وجهه احمراراً، وهز رأسه. بقي ساكتاً لحظة ثم انفجر قائلاً:«وماذا أستطيع أن أقول لها، ياجينا؟ لقد تصرفت بعناد. لابد أنها تكرهني الآن، ولن ألومها لهذا...»

تمتمت جينا تمتحنه:« ولكن هل تريد رؤيتها؟»

فتأوه قائلاً:«أنا متلهف لذلك، ولكن كيف أستطيع ذلك؟»

«ألم تر طفلتك بعد؟»

حملق فيها بعينين دامعتين:«كلا لو أنني فقط...إذا أنا اعتذرت إليها وقدمت إليها ماتريده من شروط... هل

تظنينها تدعني أرى الطفلة على الأقل؟ هل تظنين هذا ؟»

قرع جرس الباب مرة أخرى، فقال ماك وهو يمسح عينيه:« إنه كاسبيان.»

فقالت جينا:«ربما، ياماك. أسكب لنفسك كوب عصير.»

فاستدار ماك نحو المنضدة:«إنني ظمآن فعلاً.»

سارت جينا إلى الباب تفتحه وهي مازالت تحمل قارورة العطر. كانت تعلم حتى قبل أن تفتح الباب أن نيكولاس ليس هو الطارق.

تلاقت عيناها بعيني فاليري المتسائليتين.

«هل كل شيء على مايرام؟»

هذه الجملة المختصرة كانت مثقلة بالعديد من الأسئلة. أومأت جينا تطمئنها بصمت، ثم حوّلت ابتسامتها إلى مولي والطفلة، التي كانت نصف نائمة. وجه صغير لايكاد يظهر تحت غطاء رأسها المصنوع من الفراء الأبيض والملحق بالمعطف الدافىء الملفوف حولها.

قالت جينا:«شكراً لقدومك في هذا الجو. يبدو وكأن العيد سيكون أبيض، أليس كذلك؟ لابأس فالجو دافىء في الداخل. أعطيني معطفك. هل أحمل الطفلة ريثما تخلعينه؟ هذا عذر فقط، لأنني أريد أن احتضنها.» وابتسمت.

ناولتها مولي الطفلة، فأخذتهاجينا منها بشيء من الإرتباك إذ لم تكن معتادة على حمل الأطفال.

أخذت تحدق مبهورة في الوجه الوردي الصغير. كانت العينان الزرقاوان ذابلتين مثقلتين نعاساً. ولم تستطع جينا أن ترى فيها شبهاً لأحد. لا العينان ولا الفم المقوس

ولا الأنف الأشبه بالزر. عندما حملتها جينا تمطت وأخذت تتثاءب. فضحكن جميعاً.

قالت جينا وقد استيقظت في أعماقها غريزة الأمومة:«يالها من حبابة.» كان مرور الزمن قد أنساها رغبتها في الأطفال. لكن حملها لهذه الطفلة أعاد إليها لهفتها لذلك.

وكانت فاليري ساعدت مولي على خلع معطفها ثم علقته على المشجب في الردهة.

قالت جينا ومازالت عيناها على الطفلة النائمة: «هل كان خروجكما صعباً في هذا الثلج المتساقط؟لاأدري لماذا نستغرب سقوط الثلج، والمواصلات العامة تتوقف حالما يبدأ بالتساقط. سنعيدك إلى بيتك بالسيارة، فلاتقلقي. هل أنت ساكنة مع والديك؟»

أومأت مولي برأسها وهي تمشط شعرها المتموج القاتم اللون:«إننا نسكن معهما. أمي ترعى ديدري أثناء عملي. لقد كان والداي رائعين...» وسكتت فجأة، وهي تتنفس بعنف عندما رأت ماك كامرون يخرج من غرفة الجلوس. شحب وجه مولي ورفعت يداً مرتجفة إلى فمها.

«آه...آه...» ونظرت بعنف الى فاليري وقد بدا الاتهام في عينيها.

«ماهذا العمل؟ ظننت أن بإمكاني أن أثق بك. ليس لديك الحق في أن... كان عليك أن تخبريني..» وعضت شفتها وهي تلقي على ماك نظرة متوترة ثم تمتمت بغضب بلهجة الدفاع:«لم اكن أعلم؟ لو كانتا أخبرتاني لما جئت قط.»

كان ماك يحمل كوب العصير في يده، فوضعه بهدوء على منضدة قريبة، ثم قال بصوت يفيض بالمشاعر:«أنا أصدقك.» فنظرت إليه مولي غير مصدقة وقد أدركت الآن أن ثمة شيئاً قد تغيّر، لقد كان ينظر إليها بخجل، وضراعة.

همست تقول:«أتصدقني؟»

فأومأ قائلاً:«وأنا أيضاً لم أكن أعلم. لقد وقعنا، نحن الإثنين، في الفخ.»

قالت جينا:«بدت لنا فكرة جيدة.» ولكن لم ينظر أي منهما إليها. فقد كانا مشغولين بالتحديق في بعضهما البعض.

قال:«كنت أحاول أن استجمع شجاعتي لأطلب منك مقابلتي.»

«أحقاً؟ولماذا؟» وعاد وجهها يتوهج احمراراً.

«أنا...آه يامولي...لشّد ماأنا آسف...»

قالت جينا بسرعة وهي تناولها الطفلة:«حسناً، لدينا عمل في المطبخ. المعذرة.»

بينما بدا على مولي انها لم تستطع أن تفهم مايدور. لكنها تناولت طفلتها بحركة غريزية بينما أخذ ماك ينظر إليها متقدماً منها خطوة.

نظر الى الطفلة فرأى شعر جعد قاتم اللون ووجه صغير وعينان قاتمتا الزرقة.

صدر عن ماك صوت خشن غير مفهوم فحوّلت الطفلة عينيها ببطء تحدق إليه.

كانت جينا وفاليري قد توارتا في المطبخ حيث أسرعت

جينا تدير الراديو فتجاوبت الأنغام في الجو، وتصاعدت أغنية شاعرية. رفعتها جينا بحيث غطت على كل صوت آخر في الشقة، وبعد ذلك أخذت، وفاليري، في صنع قهوة لهما وجلستا ترشفانها، وأثناء ذلك أخذت جينا تحدث فاليري عن كل ما أخبرها به ماك.

قالت فاليري بلهجة واقعية:«لقد أصبحت وظيفتي آمنة على الأقل.»

فنظرت جينا إليها لاوية شفتيها:«المهم قبل كل شيء هو أن مولي والطفلة بخير الآن.»

قالت فاليري مدافعة عن نفسها بابتسامة عريضة:«إنك لم تجربي القلق بالنسبة إلى دفع أجرة بيتك أو من أين وجبتك ستأتي. إن علينا، نحن الفتيات العاملات، أن نكون واقعيات.إن أمر مولي يهمني، فقد أحببتها على الدوام... وكافحت لأجلها، لاتنسي هذا! ولكنني، في نفس الوقت، أريد الإحتفاظ بعملي.»

فقالت جينا تعتذر:«آسفة، فأنا أعلم مبلغ اهتمامك بمولي.» ذات يوم، لم تكن جينا تهتم كثيراً بفاليري، ولكنها، في الأشهر الأخيرة، أصبحت تحترمها وتعجب بها. فقد ثبتت فاليري في موقفها تدافع عنه. لم تتخلّ عن مولي أو تعتذر عن كتابة تلك القصة والذي كان يعني اعتبار مولي كاذبة.وقد ثبت أن الحق معها تماماً.

قالت فاليري: «لا أستطيع صبراً عن إخبار جيب كيف بدا ماك عندما رأى الطفلة. عندما أخبرتني أن ماك كامرون قد أسقط الدعوى، رفعت سماعة الهاتف لكي أخبر جيب، فقال إننا سنحتفل بذلك بتناول العشاء في سافوي الليلة.»

«هذا رائع.»

بقيتا في المطبخ مدة ثلث ساعة، ثم غامرت جينا بالخروج، كان ماك ومولي جالسين بجانب بعضهما البعض على الأريكة، بينما الطفلة على ذراع ماك. كان النور مخفضاً الا من مصباح على منضدة في زاوية.

وفي المدفأة كان اللهب يتصاعد وقد بدا طبيعياً للغاية ولكنه كان في الواقع، نار غاز وقد تكوم حطب صناعي في سلة من الحديد المتشابك. وكانت جينا قد بقيت زمناً تزخرف شقتها وتزينها بالنباتات المتعرشة وسلاسل من رقائق معدنية ونجوم. نظرت إلى الغرفة راضية، وكانت على وشك الرجوع إلى المطبخ على أطراف أصابعها، عندما نظر ماك حوله واحمر وجهه نوعاً ما، لكنه ابتسم في نفس الوقت:«آه، مرحبا، هل عدت؟»

فسألته جينا:«هل كل شيء على مايرام؟»

نظرت مولي حولها هي أيضاً، بابتسامة مرتجفة. بدت وكأنها كانت تبكي، وعلى وشك الإنهيار مرة أخرى. فقالت بصوت أبح:«كل شيء رائع الآن.»

فقالت جينا وهي تنظر إلى الطفلة:«أنا مسرورة جداً لأجلكم، أنتم الثلاثة.» وضحكت.

خرجت فاليري من المطبخ ضاحكة وهي تحمل صينية كبيرة عليها أطباق تحتوي على أطعمة خفيفة ساخنة.

أعلنت فاليري ببشاشة:«حان وقت الحفلة. هيا، أنتم الإثنين، وكذلك نحن،هيا، ياماك، ناول الطفلة لأمها.»

تبادل ماك ومولي النظرات. وقف ماك ومازال حاملاً

ابنته بين ذراعيه، وهو يقول: «آسف،ياجينا... إننا شاكران لكما جداً. ولكن كل مانريده حقاً هو الإنفراد لكي نتحدث عن المستقبل. هل لديكما مانع من خروجنا الآن؟ هل سيفسد ذلك حفلتك؟ أظن الآخرين سيصلون حالاً، على كل حال.»

فقالت جينا بسرعة:«نعم، سيصلون في أي دقيقة، طبعاً ليس لدّي مانع من خروجكما. إننا نفهم مشاعركما، أليس كذلك يافاليري؟ هل معك سيارتك ياماك؟ أم أتصل لإرسال تاكسي؟»

«لدي سيارتي، وسنكون بخير. شكراً مرة أخرى. إنك حقاً مميزة ياجينا.»

صدرت عن مولي تمتمة غير مفهومة وقد ارتجفت شفتاها. ساعدتها فاليري على ارتداء معطفها ثم خرجت مع ماك وابنتهما.

بعد خروجهما،منحت فاليري جينا ابتسامة ملتوية:«حسناً، إنها أقصر حفلة رأيتها. ولكن ماأعظم أن نراهما سعيدين. كانت مولي على وشك السقوط أرضاً، أليس كذلك؟لاأدري ماالذي أصابها.» ونظرت في أنحاء غرفة الجلوس:«أواه، ياجينا... كل هذا الطعام. كم أحب أن أبقى وأساعدك على إنهائه، ولكن هل لديك مانع من إسراعي في الذهاب،أنا أيضاً؟ لاأحب منظر ذلك الثلج. وعلّي أن أقابل جيب في «سافوي» الساعة الثامنة والنصف. فإذا كانت الطرق مكسوة بالثلوج، فسأمضي في الطريق وقتاً طويلاً.»

«لابأس في ذلك.» وبعد خمس دقائق كانت جينا قد أصبحت وحدها وسط السكون الغامر.

نظرت إلى ساعتها.إنها السابعة والنصف تقريباً الآن. هل مازال نيكولاس ناوياً الحضور؟ أم أن شيئاً أعاقه في باربري وارف. أم أن تأخره في ترك المجمع جعله يذهب رأساًإلى العشاء في مكان ما، ناسياً أنه قال إنه سيأتي إلى هنا أولاً؟

تناولت صحناً صغيراً كوّمت فيه الأطعمة ثم سكبت لنفسها كوب عصير البرتقال. ثم جلست على السجادة أمام المدفأة. لامانع من أن تستمتع وحدها بهذه الحفلة.

تصاعد رنين جرس الباب في الوقت الذي قضمت فيه لقمة من شطيرة سبانخ مع الجبن.

أجفلت جينا فوقعت من يدها بقية الشطيرة حيث تناثرت محتوياتها على السجادة أثناء نهوضها وهي ترتجف.

قال نيكولاس ونظراته على ثوبها الحريري الذهبي اللون:«آسف لتأخري.»

فقالت وهي تسد عليه الطريق:«إنك تأخرت اكثر من اللازم، مع الأسف. لقد انتهت الحفلة وخرج الجميع.»

نظر من فوق كتفها:«طعام خفيف وأشربة متنوعة؟ هذا ماأريده بالضبط.»وأزاحها من طريقه، مغلقاً الباب خلفه برفسة من قدمه.

«نيكولاس، يوماً ما...»

فقال ضاحكاً: نعم ياجينا... يوماً ما...»

تلاقت أعينهما فخفضت بصرها، وقد التهب وجهها احمراراً، بينما كان هو يقول بعفوية:«لم يكن طريقي إلى البيت، سهلاً.كان الثلج من الكثرة بحيث أن مسّاحة زجاج السيارة لم تكن تستطيع التحرك بسهولة .»

وهو يلقي بنفسه في زاوية الأريكة أمام المدفأة:«والآن، أخبريني بماحدث.»

«هل أسكب لك بعض الطعام؟ لم يأكل أحد، وهناك كميات كبيرة منه. هذه الفطائر لذيذة جداً وكذلك الكافيار.»

فقال:«نعم، دعينا نأكل على الأرض أمام النار، أعطيني شيئاً من كل نوع... أكاد أموت جوعاً فقد تركت تناول الغداء لأعمل في حسابات«الشركة الدولية» فالصورة لم تكن سيئة بوجه عام. ولكن بلداً أو اثنين لم يكونا من الجودة كما كنت أتوقع. أرقامهما للسنة الماضية لم تكن متناسبة مع الفائدة. عليّ أن أحكم الضغط على الإدارة في السنة الجديدة.»

كومت من أنواع الطعام في طبق بينما تابع هو الحديث بصوت متعب، وجسمه منهك متهالك على وسائد الأريكة. وعندما ناولته الطبق، أخذه منها بابتسامة عريضة: «لن أحتاج إلى عشاء بعد هذا كله.»

«لقد طلبت مني أن أضع لك شيئاً من كل نوع.»

وجلست على السجادة وتناولت طبقها.

«والآن، أخبريني عن كامرون والفتاة.»

«مولي؟»

«نعم، مولي.» وألقى عليها نظرة مازحة .

وهكذا أخذت جينا تتكلم أثناء الطعام.بينما كان الثلج يتساقط في الخارج، ماجعل لندن تلتف بغطاء ثلجي ناصع البياض.

بعد ذلك بساعة، تثاءبت جينا وهي تقول:«سيكون عيدنا أبيض، شيء بهيج.»

سألها:«ماذا ستفعلين في العيد؟»

رأته يحدق فيها طويلاً، فجف فمها، فأسرعت بالحديث لتغطي قلقها منه:«طلب دانيال وروز مني أن أمضيه معهما. إن والدها سيصل غداً وأختها أيرينا استيبان ستصل في الواحد والثلاثين من الشهر، وبعد ذلك تعود أيرينا وزوجها الى أسبانيا لتمضي أياماً بعد الأعياد مع أمها وأخويها.»

أخذت تجمع الأواني لأخذها إلى المطبخ فهب نيكولاس واقفاً وساعدها في ذلك.

قالت له:«وماذا عنك؟ ماهي خطتك لقضاء العيد يانيكولاس؟»

«كانت أمي ستأتي إلى هنا لقضاء العيد، ولكن في هذا الجّو قد يكون من الأفضل إذا أنا ذهبت إلى سان فرانسيسكو. وهذا مؤسف فقد كانت مسرورة لرؤيتك مرة أخرى.»

إحمر وجه جينا:«كنت سأسعد برؤيتها، أنا أيضاً.»

أخذ يحدق في اللهب وقد توترت ملامحه:« تعالي معي إذن، ياجينا، إنني أعلم أن روز دعتك لتقضي العيد معهم. ولكن من الواضح أن لديهم الأسرة كلها ليقضوا العيد معاً. إنني واثق من ترحيبهم بك، لكنهم لن يفتقدوك، في الواقع، إذا لم تذهبي.» وجذب نفساً عميقاً ثم تابع يقول:«لكنني أنا أفتقدك.»

توتر جسمها وخفضت بصرها، بينما عاد هو يقول:«أريدك معي أيام العيد، ياجينا.»

«لاأستطيع. لقد قامت روز بكل الترتيبات....»

«بل تستطيعين طبعاً، إنها ستتفهم الأمر.»

«أنا واثقة من أن أمك تريد الاستئثار بك لنفسها. فهي لاتكاد تراك.»

«لقد طلبت مني أن أدعوك. وهي تنتظر رؤيتك مرة أخرى بشوق كبير. هيا معي، ياجينا. ألا تريدين قضاء بضعة أيام في الشمس؟»

كانت جينا متلهفة إلى الذهاب معه في العيد، فترى أمه مرة أخرى. أن تتمكن من معرفتهما بشكل أفضل. كان الإغراء لايحتمل. لكن جينا لم تشأ أن تستسلم لذلك. أحياناً، عندما يبتسم نيكولاس لها بهذا الشكل، كانت تشعر بنفسها تكاد تذوب وتتملكها المشاعر. لكن عليها أن لاتنسى أن نيكولاس مخادع كبير. لقد كذب وخدع من قبل، وسيفعل ذلك مرة أخرى، والحمقاء المجنونة فقط من تسمح لنفسها بأن تحبه. كانت تعلم ليس بإمكانها المجازفة بقضاء العطلة معه في نفس المنزل. كان هذا أمراً بالغ الخطورة.

قالت:«كلا، لاأستطيع، آسفة.»

أدرك نيكولاس أنها تعني ماتقول. توترت ملامحه، وأصبحت عيناه في برودة الثلج، فقال بحدة وهو ينهض واقفاً:«اغربي من وجهي.»

شعرت بالخوف لحظة، لكنه سار نحو الباب بخطوات واسعة، صافقاً الباب الخارجي خلفه بعنف.

الفصل العاشر

طوال ذلك الأسبوع، كانت صوفي تحاول أن تتحدث مع غاي عن هاريت ريدجواي وفي كل مرة كانت أعصابها تخونها. كانا مشغولين بالعمل في دعوى تشهير سببها سلسلة مقالات كتبها توم بيرني عن عصابات شرق لندن. كان توم قد نبش بعض إحصائيات تتناول سلسلة من القضايا في المحاكم تورط فيها أعضاء من هذه العصابات. جرائم تتعلق بمخدرات وقتل، ورذائل مختلفة. لقد استطاع أن يربط المجرمين المعروفين بالأسر التي جاؤوا منها، وبهذا أنشأ نوعاً من شجرة إجرام عائلية.

بعض الأسر التي ذكرت في المقالات دون أن يكون اسمها مسجلاً في عالم الجريمة هددت بمقاضاة الصحيفة الآن. وكان على غاي أن يقرر ما إذا كان الأفضل أن يدفع تعويضات خارج المحكمة أم يسير بالقضية مدافعاً، حتى الليلة السابقة للعيد، بقيت صوفي تعالج خلفيات المادة التي أعطاهم توم إياها.

قال غاي وهي تناوله أخيراً الصفحات المطبوعة: «سآخذ نسخة منها إلى البيت لدراستها بمزيد من الدقة وذلك أثناء عطلة العيد.»

«أين ستمضي عطلة العيد؟»

أجاب بذهن غائب وهو يتصفح المستند الذي بين يديه: «مع أسرتي في ليستر شاير.»

أخذت تتأمله، متمنية لو تعرف مايدور في ذهنه، قالت هاريت إن غاي لايحبها ولم يحبها قط... ولكن هل هذا صحيح؟ لماذا يتظاهر غاي بخطوبته لها إذا لم يكن يحبها؟ إن ادعاءً ضخماً كهذا لابد أن تكون له خلفية حقيقية. بالنسبة إليهما هما الاثنين. قد يكون غاي وافق على ذلك لأسباب ضاغطة جداً.

ضحك فجأة وقال دون أن يرفع بصره: «المكتوب هنا هو شيء لايمكن تصديقه. من أين أتى به توم بيرني؟»

فقالت: «من سجلات الشرطة، بشكل رئيسي.»

كانت ماتزال تتأمل جانب وجهه. إنه يحيّرها كثيراً. ملامحه متزمته تقريباً، تصرفاته هادئة منضبطة، لكن مشاعره أحجية معقدة وصوفي لم تكن قط ماهرة في حل الأحاجي.

قال غاي: «هنالك أمور اكثر من هذا بكثير. إنه حذر جداً في الإشارة المباشرة إلى مصادر معلوماته، من الواضح أن ثمة من مهد له السبيل إلى ذلك.»

«يبدو أنه يعرف كثيراً من المجرمين، فقد نشأ في شرق لندن، طبعاً، ووظيفته تعني انه قابل اكثر من ذلك.» وأخذت صوفي تفكر في أندريس كيرك. إن عمله يعني أنه كان عليه أن يتعرف إلى مئات من المجرمين، لكن علاقته بهم تسودها المودة، كما رأت بنفسها، مايجعل من غير المستغرب أن تخاف هاريت من أن لايقبله والدها صهراً له.

كان يريد غاي، وغاي رجل محترم للغاية وسليل أسرة ثرية من الملاّكين، كما قالت هاريت، والدها

يحبها أن تتزوج من تلك الأسرة. تنهدت صوفي وهي تفكر في أسرتها المشردة الغريبة الأطوار.

أظلم وجهها، كانت تكره أن تتذكر ماحدث ليلة خطوبة جيب وفاليري، خصوصاً دورها هي في تلك الأحداث. لكن عليها أن تحاول استخراج نتيجة من ذلك. إنها تريد أن تفهم غاي ودوافعه التي ألجأته الى مافعل.

أخذ جزء من عقلها يسخر منها. أتراها تمزح؟ لم يكن صعباً معرفة دوافعه، فقد كانت واضحة كالبلور. كانت تشعر بالتعاسة فأراد غاي استغلال ذلك بمحاولة إغوائها.

حتى انه لم يشعر بالذنب، كما يبدو ربما حدث نفسه بأن اكثر الرجال يتصرفون بهذا الشكل، وأنه حاول بذلك الترفيه عنها. هذا إلى أنها لم تقاومه. فقد كانت ضحية في منتهى الخضوع.

وإذ تراجعت بذاكرتها إلى الوراء، رأت أنها كانت دوماً تجده جذاباً للغاية، ودوماً كانت ترغب فيه.

عبست وهي تتحول بنظراتها إلى خارج نافذة المكتب. لم تكن تفهم نفسها، فكيف تأمل في أن تفهم غاي؟

رأت بذعر، الثلج وقد عاد الى التساقط، رقائق كبيرة تعصف بها الريح في ساحة المجمع بلازا، وطرقه.

وقف غاي خلفها وأخذ يحدق إلى الخارج هو أيضاً، قائلاً بضيق:«تباً لذلك. لقد عاد الثلج،سيغطي الثلج الطرقات بينما أمامي رحلة طويلة إذا كنت أريد الوصول الليلة إلى منزل والدي.»

«ربماالأفضل أن تذهب مبكراً.»

فتنهد:«لاأستطيع، لقد وعدت نيكولاس كاسبيان بأن

أتحدث إليه قبل رحيله. إن طائرته ستغادر الساعة الرابعة. لكنه خرج حالياً لتناول الغداء ولن أستطيع رؤيته قبل أن يعود.»

«إلى أين سيذهب في عطلة العيد؟»

أطلق غاي ضحكة صغيرة:«إلى سان فرانسيسكو، هذا إذا لم تقفل المطارات بسبب الثلوج.»

وعاد ينظر إلى الثلج المتساقط مرة أخرى وهو يئن:«كان علَي أن أغادر أمس، لكنني ظننت أن الجّو سيتحسن، إذا دام الأمر على هذه الحالة،فسأمضي العيد وحدي في شقتي.» وألقى عليها نظرة جانبية ساخرة.« إلا إذا دعوتني أنت لأمضي العيد مع أسرتك.»

أسرعت خفقات قلبها:«إنه لن يكون عيداً مريحاً، فأسرتي تشكل مجموعة غريبة.»

فقال مازحاً: «أتعنين مثلك؟»

تظاهرت بالضحك:«أظن ذلك.»

تشوقت إلى أن يقضي معها العيد. لقدأبهجتها هذه الفكرة، لكنها في نفس الوقت كانت تعلم ما ستظنه أسرتها من وجوده.فهي لم تحضر قط رجلاً من قبل إلى بيتها أيام العيد. إنهم سيرتبون أمر عرسها حتى قبل أن تنتهي من مهمة تقديم غاي إليهم.

نظرت إليه خفية، مترددة:«بالنسبة إلى الحديث عن الأسر، لقد تعرفت إلى هاريت منذ أيام...»

رأت الدهشة تتملكه، ثم التفت ينظر إليها بإمعان:«هاريت؟ أحقاً؟ وأين؟»

«في مقهى، كانت تتناول فنجان قهوة مع جيب.»

توترت ملامحه وبدا العنف في عينيه الهادئتين:«ثم صودف وجودك هناك، أنت أيضاً؟ أمازلت تقابلينه؟ ظننتك تحاولين نسيانه، وذلك بالخروج مع كل رجل يطلب منك ذلك! ألم تنجحي في تلك المحاولات؟ أين كرامتك ياصوفي؟ لقد أصبح رجل امرأة أخرى الآن.»

لماذا عليها أن تسكت؟ ليست هي التي كانت تقوم بألاعيب معقدة بالنسبة إلى الحب... بل هو! فقالت بحدة وقد التهب وجهها:«لم اكن أقابل جيب، كنت أقوم بالتسوق للعيد، فدخلت إلى مقهى فرأيتهما هناك. قدمني جيب إليها. وعندما علمت هارييت بأنني سكرتيرتك طلبت مني أن أتحدث إليك...»

عندما سكتت عن الكلام، ضاقت عينا غاي وهو ينظر إلى وجهها:«عن ماذا طلبت منك التحدث إليّ؟»

لم تعد صوفي تستطيع مواجهة نظراته الآن. فخفضت بصرها،وأخذت تعبث،متوترة،بخصلة من شعرها،فقالت وهي تسحب نفساً عميقاً:«إنها... إنها تريد أن تتزوج و... هناك أنت...قالت إنها خطبة زائفة فقط...»

فقال بجفاء وعيناه مسمرتان على وجهها:«كانت كذلك فعلاً. لقد بقينا أشهراً نخرج مع بعضنا البعض. ويبدو أن والدها ظننا سنتزوج، فأخذ يتحدث عن ذلك وكأن الأمر قد استقر على هذا.كما أن هارييت نظرت إلى الأمر بجدية،هي أيضاً. وبشكل ما، وجدت نفسي خاطباً لها.لكنني لم أفكر قط بشراء خاتم خطبة لها، ولم نقرر موعد الذلك. لم يكن أي منا يريد الزواج. أخبرنا والدها بأننا نريد الإنتظار إلى حين الإستقرار في أعمالنا، فاقتنع بذلك.ولكن، طبعاً عندما انشغل

كل منا بعمله، ولم نعد نرى بعضنا البعض كثيراً، إفترقنا تدريجياً. لم أرها منذ أشهر،ولاشك أن الخطبة فصمت لولا أن هارييت كانت تخاف من تخبر والدها بذلك.»

فقالت صوفي:«ومازالت خائفة من إخباره. إنها لاتدري كيف تخبره بأنها تريد الزواج من شخص آخر.»

«أحقاً؟ ومن هو؟» قال غاي ذلك مجفلاً.

«لاتخبريني بأن هارييت تحب الآن جيب، هي أيضاً. إنني أعرف أن شقتها تحاذي شقته، وتراه على الدوام...»

فقالت صوفي بفروغ صبر:«كلا،بالطبع! إنها تريدالزواج من أندريس كيرك.»

ساد الصمت لحظة وشحن الجو، ثم انفجر غاي يقول بعنف جعلها تجفل: «هل هذه مزحة؟»

فقالت متلعثمة، محاولة إخفاء ارتجافها.:«لا... لاتصرخ بي، كلا،إنها ليست مزحة. الأمر جدي تماماً.»

إلتوى فمه بسخرية:«آه، نعم. إذا كان الأمر جدياً إلى هذا الحد، لماذا خرج معك؟»

كان هذا سؤالاً كانت تفضل أن لايلقيه عليها.فالجواب كان محرجاً جداً. فتمتمت تقول وقد احمر وجهها:«كان الفضول يتملكه بالنسبة إليك.»

إنفجر غاي ضاحكاً:«أنت تمزحين!»

حملقت فيه وقد توهج وجهها وتوترت شفتاها.

بينما عاد يقول وقد بدت السخرية في عينيه:«ياله من أمر يثير الغيظ بالنسبة إليك.»

فقالت:«كنت أعلم،طوال الوقت، أنه يهدف إلى شيء ما.»

فقال بابتسامة عريضة:«طبعاً كنت تعلمين ذلك.»

«أدركت أن وراء كثرة أسئلته عنك، شيئاً غريباً، فتكهنت بأنه يهدف إلى شيء ما، لكنني لم أستطع التكهن بنوعه! وكيف يمكنني ذلك وأنا لااعرف أن هناك فتاة تدعى هارييت ريدجواي، أو لها علاقة بك؟»

فقال عابساً:«وكيف تعرفت إليه؟إنه ليس من نوعها.» وضحك غاضباً.«كما انه ليس من نوع أبيها بكل تأكيد، سيمرض الرجل العجوز. لابد أن هارييت فقدت عقلها.»

فقالت صوفي:«لقد فقدت قلبها على كل حال. إنني، بصراحة، مع هارييت. لماذا عليها أن تتزوج رجلاً فقط لأن والدها وافق عليه؟ إن والدها يتصرف بعقلية آباء القرن الماضي.»

فقال غاي موافقاً: «نعم، هذا هو والدها. ولكن عليها أن تخبره سواء عاجلاً أم آجلاً، إذا كانت تريد أن تتزوج كيرك، عند ذلك سيتملكه غضب هائل قد يرديه بسكتة دماغية أو نوبة قلبية.»

جذبت صوفي نفساً عميقاً:«إنها تدرك ذلك. وهذا هو السبب في أنها تريد منك أن تخبره.»

«أنا؟» قرقع صوت غاي كالسوط ماجعلها تقفز. فأسرعت تقول متلعثمة:«حـ...حسناً، ذلك شـ...شيء معقول. إنها تقول إن أباها يكّن لك اعتباراً كبيراً ولهذا بإمكانك أن تقنعه بأن يقبل بأي شيء، حتى بصهر غيرك. إذا أنت أخبرت القاضي بأنك أنت نفسك لم تعد تريد الزواج منها، وأن خطبتكما فصمت نهائياً، وأنكما أصبحتما الآن مجرد صديقين... عند ذلك كما تظن هي، من المحتمل أن يقبل، عند ذلك، بأندريس كيرك.»

«إنه لن يدعها تتزوج كيرك ولو كان هذا آخر رجل في العالم، فالرجل العجوز يكرهه. عندما يكون موجوداً في أحدى قضايا كيرك، يبدأ الإثنان بالقتال. وليس ذلك مجرد تمثيل.. ريدجواي حقاً لايطيق رؤية كيرك.»

وفجأة، ضحك غاي:«لكنني سأتحدث إلى الرجل العجوز بعد العيد. إنني متلهف لرؤية وجهه عندما يسمع أن كيرك، من بين كل الرجال، سيصبح صهره. إنه قد يأكل ربطة عنقه.»

قالت ضاحكة:«آه، إنك ستحاول اقناعه. إنك ماهر في جعل الآخرين يفعلون ماتريدهم أن يفعلوه.»

«أحقاً؟ لكنني، لم أنجح في جعلك تفعلين ماأريد، أليس كذلك؟»

إبتلعت صوفي ريقها ونظرت إلى ساعتها وقالت بسرعة:«حسناً، لقد أنهيت الآن كل أعمالي، فهل يمكنني الذهاب؟ إن علّي أن أشتري بقية هدايا العيد، وبعد ذلك سأذهب إلى البيت لأستعد لاستقبال الأسرة والتي ستصل هذه الليلة والبيت مازال غير جاهز تماماً. لقد بذل خالي ثيو جهده، لكنه غالباً، شارد الذهن. إنه يبدأ في وضع الزينة، وفي منتصف العمل يتذكر بعض التفاصيل التي عليه أن يضعها في كتابه، فيذهب ليضع مذكرة بذلك، ثم ينسى العودة لتكملة عمله.»

«لماذا هذه الثرثرة السريعة،ياصوفي؟هل هناك مايزعجك؟»

ألقى غاي عليها هذا السؤال بذلك الصوت الناعم الخطر. فقالت لاهثة:«لو كان لديك عشرة من أقاربك سيصلون بعد

ساعات لقضاء العيد عندك، ستكون منزعجاً، أنت أيضاً.»

قال بعد صمت قصير:«حسناً، إذهبي إذن. واستمتعي بالعيد.»

ارتدت صوفي معطفها، ولفت حول رأسها وشاحاً أحمر، ثم حملت حقيبة يدها وكيساً مليئاً بهدايا العيد. ثم قالت:«عيداً سعيداً لك. كن حذراً بالنسبة إلى قيادة السيارة.»

تقدم غاي خطوة نحوها، وإذا بجرس الهاتف يرن. أطلق ضحكة قصيرة وهو يميل نحو المكتب يلتقط السماعة.

أخرجت صوفي لفافة فضية من كيس الهدايا ووضعتها على مكتب غاي، ثم هربت قبل أن يجد وقتاً ليلتقطها.

بعد الساعة السابعة بالضبط، ذلك المساء، كانت مشغولة بإعداد فطائر اللحم من المطبخ، عندما دخل خالها حاملاً زجاجات العصير وهو يغني بسعادة. وإذا بقطته، فيوليت، تستفز كلبه«ستانسلاوس» للحاق بها في أنحاء المطبخ.وفوجيء الخال ثيو بهما يثبان أمامه فعثرت قدمه بالكلب فوقع على الأرض وتحطمت الزجاجات متناثرة شظاياها ماعدا واحدة.

لكنه وقع، لحسن الحظ ،على صوفي التي وقعت بدورها على صينية الفطائر، فسحقتها بشكل تعس، على الأقل لم يصب خالها بأذى، ولم يتضرر سوى كرامة صوفي وهو ينهض واقفاً على قدميه ناظراً إليها، ثم يأخذ في الضحك بشكل مفاجيء وهو يرى وجهها وشعرها وقد غطاهما اللحم المفروم، والفطائر المسحوقة.

«تبدين...آه، آسف، ولكنك فعلاً تبدين مضحكة...»

بطبيعة الحال، كانت تلك اللحظة هي التي اختارها

ضيوفهما للوصول. أخذ جرس الباب يقرع بصوت مرتفع، فنظرا إلى بعضهما البعض وهما يتأوهان:«كلا...كلا...كلا...»

قال الخال ثيو:«هاقد جاؤوا. لماذا حدث لنا كل هذا..؟»

ازداد ارتفاع رنين جرس الباب. صاح الخال ثيو وهو يدق الأرض بقدمه:«أنا قادم... أنا قادم.»

كانت صوفي تلتقط قطع اللحم المفروم من بين شعرها وأهدابها. ثم سارت تحضر منديلاً ورقياً تمسح به وجهها، وإذا بها تسمع صوت غاي خلفها فاستدارت بسرعة وقد تملكها الذعر.

دخل المطبخ ثم جمد في مكانه فاتحاً فمه بذهول.

صرخت عندما أخذ ينظر حوله إلى بحيرة الشراب وشظايا الزجاجات المتناثرة، صرخت بصوت باك:«ماذا تفعل هنا؟»

«ماكنت تفعلينه هو السؤال الحقيقي!»

بينما كان الخال ثيو يقول متفجعاً:«كان هذا حادثاً. أنا سقطت فوق الكلب ثم... حسناً، لابأس، من أين سأحضر العصير للعشاء؟ في مثل هذه الساعة ليلة العيد يقفل المتجر أبوابه الساعة الخامسة، ثم يذهب صاحبه إلى بيته حيث أسرته. أليست هذه مأساة؟»

«مأساة كبرى.»أجاب غاي بذلك وهو ينظر حوله. أدارت صوفي ظهرها إلى غاي، وهي تسرع بتنظيف وجهها.

قال يغيظها ضاحكاً:«لاتصلحي من منظر وجهك لأجلي، فأنا أحبك بذلك الشكل.»

فقالت بشيء من الكرامة:«إنك لم تخبرني بسبب حضورك.»

فقال الخال ثيو بحرارة وهو ينظر إليها باستياء:«لقد جاء ليتمنى لنا عيداً سعيداً، فلاتكوني خشنة معه، ياصوفي!»

إبتسم له غاي:«كنت سأذهب إلى منزل أهلي لقضاء العيد، ياسيدي، لكنني قررت عدم المجازفة بقيادة السيارة في هذا الجَو، الشرطة أطلقت تحذيرات بعدم السفر دون ضرورة، فالطرقات الطويلة محاصرة بالثلوج والحوادث تتكاثر. وهكذا قررت عدم السفر، وقضاء العيد وحدي هذه السنة. يمكنني أن أتحدث مع أسرتي يوم العيد هاتفياً.»

دمعت عينا الخال ثيو حزناً:«تمضي العيد وحدك؟كلا،كلا، لايمكن أن نتركك وحدك يوم العيد. أليس كذلك ياصوفي؟»

فقال للخال ثيو بشجاعة وهو يبتسم له شاكراً:«آه، سأكون بخير وحدي. إن عندي دجاجة مجمدة في الثلاجة. لم أشتر أي فاكهة أو سلطة حيث إنني كنت عازماً على الغياب أيام عطلة العيد. لكن لدّي كثيراً من الطعام المجمد وساتدبر الأمر. ثمة كثير من العمل علَي ان أقوم به، على كل حال.»

حدق الخال ثيو إلى صوفي معاتباً.

قال غاي وهو يناولها هدية مربعة الشكل مربوطة بشريطة حريرية. قال يناولها لها:«آه، نعم. هذه لك ياصوفي. الأفضل أن أخرج الآن قبل أن يقفل الثلج الطرقات.»

ألقى الخال ثيو بذراعه حول كتفه يمنعه:«إنك لن تذهب إلى أي مكان ياولدي. إنك ستبقى هنا، لدينا أمكنة كثيرة، كذلك يوجد فراش مكوم جاهز لليلة، وطعام يكفي جيشاً.» وحدّق في صوفي موبخاً.«قولي له أن يبقى، ياصوفي.»

فقالت بفتور:«نعم، أرجوك أن تبقى، ياغاي.»

فقال غاي بابتسامة عريضة:«حسناً، إذا كنت واثقة من أنك تريدينني، حقاً...»

نظرت إليه غاضبة. لكن الخال ثيو، لم يكن منتبهاً إلى مايدور في الخفاء كان يفتش عن دلو وممسحة:«يجب أن ننظف كل هذا قبل وصول الضيوف. آه، كما أن علَي أن أجري اتصالاً هاتفياً ضرورياً.... المعذرة...»

إندفع خارجاً من المطبخ، فخلع غاي معطفه الواقي من المطر، ثم السترة، وفك ربطة عنقه وفتح ياقته، وشمر كميه، ثم أخذ في تنظيف الأرض بكفاءة أدهشت صوفي. غسلت وجهها في الحوض ونشفته ثم أخذت تتفحص مظهرها وتلتقط ما بقي من قطع اللحم في شعرها وهي تسأله معاتبة بهدوء:«لقد تعمدت الحضور، اليس كذلك؟»

كان غاي جاثياً على ركبتيه يلتقط شظايا الزجاج بحذر ويضعها في الدلو.

فقال:«كان علىّ أن أحضر اليك تلك الهدية.»

«كان بإمكاني أن أنتظر.»

سألها: «ماذا تريدينني أن أقول؟ إنني أريد رؤيتك؟ حسناً، أنا أريد رؤيتك .كان بإمكاني المجازفة بالسفر لو أنني لم اكن سأجن لفكرة انني لن أراك قبل أسبوع تقريباً.»

جمدت مكانها، بينما نبضها يتسارع. أخذت صوفي تفكر في أنه قالها... قالها حقاً... ولكن هل هو يعني ما يقول؟

ألقى بقطع الزجاج،ثم أخذ يمسح الأرض من السوائل، ثم يجدد الماء بآخر نظيف.

قالت وهي تمدّ يدها إلى الممسحة: «سأغسل الأرض.»

فقال بصوت أجش: «أنا أحبك.»

فقالت وهي ترتجف: «لا تقل هذا إذا لم تكن تعنيه حقاً.»

عاد يقول وهو ينظر إليها بحنان: «أحبك.»

فقالت تسأله بغضب: «وهل تعرف حتى ما هو الحب؟ ظننت انك كنت تحب فاليري. فهذا ما قلته أنت، بينما كنت تحاول إغوائي. ثم عرفت بأمر هارييت! لا أظنك تعرف حتى مبادىء الحب.»

أخذ غاي ينظر في أعماق عينيها، ثم قال بصوت أبح: «إنك المرأة الأولى التي أحببتها حقاً، يا صوفي...»

تأوهت غاضبة: «لا تكذب عليّ.»

«بل هي الحقيقة. مع هارييت كانت علاقتنا لمجرد التسلية... فقد كنا طالبين في الجامعة. لم تكن علاقتنا تعني شيئاً لأيّ منا. إسأليها اذا كنت لا تصدقينني. العقدة الوحيدة مع هارييت كانت والدها وطموحه الجنوني لأجلها. كان يريدها أن تتزوج المال. وكان يعلم أن أسرتي تملك ذلك. لكنني لم افكر قط في الزواج من هارييت اكثر مما كانت هي تفكر في الزواج مني.»

لكنها سألته بجمود: «وفاليري؟»

فقال عابساً: «فاليري! كانت فاليري لمجرد المرح، ياعزيزتي. لكنني لم أحبها قط، إنها متزمته اكثر مما يظن من يراها. إن فاليري مظلومة بسمعتها. وأنا أثق من أن جيب كولينغوود هو الرجل الوحيد في حياتها.»

حدقت صوفي إليه غير مصدقة: «لايمكنك أن تتوقع مني أن أصدق هذا! الرجال دوماً يحومون حولها.»

«هذا صحيح. ولكن هذا لايعني أنهم يصلون إلى غايتهم منها.»

«لكنك أخبرتني... تلك الليلة... بعد حفلة الخطوبة... أخبرتني بأنك تحبها...»

فقال: «لقد قلت لك هذا لأسهّل عليك الأمر.»

فقالت غاضبة: «تسهّل علي الأمر؟ تعني تسهّل عليك أنت أمر أغوائي.»

فقال دون خجل: «نعم، كنت أرغب بك. لكنني كنت أحاول أن أجعلك تدركين شيئاً، تلك الليلة... لم تكوني تحبين جيب حقاً، فقد كان مجرد سراب في أفقك. لقد اختلط عليك الأمران... الحب الحقيقي والإفتتان. هذا هو السبب الذي جعلني أحاول تحويل مشاعرك إليّ. كنت أحاول أن أجعلك تريننني جذاباً مثله. إنك لم تكوني تدركين ذلك، فحاولت أن أجعلك تعترفين به.»

قالت وقد التهب وجهها: «أنا لاأعترف بشيء!»

«بل رغبت بي تلك الليلة.»

«كلا، أنا...»

«بل كنت تريدينني حينذاك، كما أنك تريدينني الآن.»

فقالت متعلثمة: «أريد... أريد..»

واغرورقت عيناها بالدموع وارتجفت شفتاها.

«هذا كل ماتعرفه عن الحب... الرغبة فقط...»

«صوفي.... أنا أحبك.... وعليك أن تصدقي هذا. إن حالي تسير من سيء إلى أسوأ، حتى أصبحت لاأستطيع العيش دون أن أراك.»

كانت دموعها تسيل على وجنتيها، من بين أجفانها المغمضة. هتف مذعوراً: «حبيبتي... أتبكين؟ لاتبكي ياصوفي. لاأستطيع احتمال رؤيتك حزينة.»

فشهقت قائلة:«أنا لست حزينة، بل سعيدة، أيها الغبي.»
وفتحت عينيها تبتسم له، ثم تهمس:«أنا أحبك، ياغاي.»
حبس أنفاسه:«آه، أحقاً؟»

وفي تلك اللحظة، دخل الخال ثيو مندفعاً.

أجفل الإثنان للمفاجأة، لكن الخال ثيو لم يكن ينظر إليهما، كان ينظر في أنحاء المطبخ بضيق، ثم تنهد بارتياح وهو يرى كل شيء قد عاد طبيعياً تقريباً.

«هذا رائع، لقد نظفت المكان...آه، هذا المكان مازال مبتلاً...أين الممسحة؟لقد رأيت السيارة تقف أمام البيت. أبوك وأمك هنا، ياصوفي. سأنهي مسح الأرض... إذهبي وادخليهما ثم ساعديهما في نقل الأمتعة...»

قال غاي وهو يرافقها إلى الباب:«سأدخل أنا الأمتعة.» وهمس في أذنها:«ألن نحصل على لحظة ننفرد فيها أثناء العيد، وكل أسرتك حولك؟ اخبريني مرة أخرى بأنك تحبينني، قبل أن نفتح الباب.»

فهمست:«أحبك.»

فقال:«أحبك.»

هذا بينما صوت جرس الباب يتعالى وبينما الخال ثيو يغني أغنية العيد في المطبخ.

تمت